رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

الاعتذار من الشيب

قال البحترى :

رُبَّ عَيْشٍ لَنَا بِرَامَةَ رَطْبٍ ... ولَيَالٍ فيها طِوَالٍ قِصَارِ[١]
قَبْلَ أَنْ يُقْبِلَ المَشِيبُ وَتَبْدُو ... هَفَوَاتُ الشَّبَابِ فى إِدْبَارِ[٢]
كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ولَكِنْ ... أَعْوَزَ العُذْرُ مِنْ بَيَاضِ العِذَارِ
كَانَ حُلْوًا هَذَا الهَوَى وأَرَاهُ ... صَارَ مُرًّا . والسُّكْرُ قَبْلَ الخُمَارِ[٣]

قوله : « كُلُّ عُذْرٍ مِنْ كُلِّ ذَنْب » مقبول ونافع ناجع سوى العذر من الشيب . أو كل عُذْرٍ من كلِّ ذنب موجودٌ ممكن ، غير العذر من الشيب ، فإنه غير موجود[٤]. وهذا أليق وأشبه .

وقال :

وحُمِّلْتُ عِنْدَكِ ذَنْبَ المَشِيـ ... ـبِ حتَّى كأَنِّى ٱبْتَدَعْتُ المَشِيبَا[٥]

---

(١) ديوان البحترى ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٦ دار المعارف والشهاب ٢٥ والزهرة ٢٣٨ — ٢٣٩ .
(٢) فى الديوان « المشيب وتغدو » .
(٣) فى الديوان « عاد مرا » .
(٤) الشهاب ٢٥ .
(٥) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف .

مدح الشيب والتعزى عنه

قال البحترى :

عَيَّرَتْنِى المشيبَ وَهْىَ بدَتْهُ ... فى عِذَارِى بالصَّدِّ والإجْتنَاب [١]

لا تَرَيْهِ عَارًا فَمَا هُوَ بالشَّيْـ ... ـبِ ولَكِنَّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ

وَبَيَاضُ البَازِىِّ أَصْدقُ حُسْنًا ... لَوْ تـأَمَّلْتِ مِنْ سَوَادِ الغُرَابِ [٢]

قوله «بَدَتْهُ». أراد بدأته فترك الهمز. يقال : بدأت بالأمر ، وأبدأته .

وقوله : «ولكنّهُ جِلَاءُ الشَّبَاب» – من معانيه التى تستحسن .

* * *

وقال أبو تمام :

أَبْدَتْ أَسًى إذْ رَأَتْنِى مُخْلَسَ القُصَبِ ... وعادَ مَا كَانَ مِنْ عُجْب إلى عَجَبِ [٣]

ستٌّ وعشْرُونَ تَدْعُونِى وأَتْبَعُها ... إلى المَشِيب ولَمْ تَظْلِمْ ولَمْ تَحُبِ [٤]

فلا يُؤَرِّقْكِ إيمَاضُ القَتيرِ بِهِ ... فإنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْى والأَدَبِ

وقد مرت فى باب «[نزول] الشيب قبل حينه» [٥].

---

(١) ديوان البحترى ٥٦٣ ، ١ / ٨٤ دار المعارف وأمالى المرتضى ١ / ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وفى م «وهى جنته» .

(٢) فى الديوان وأمالى المرتضى «إن تأملت»

(٣) ديوان أبى تمام ١٥ وشرح التبريزى ١ / ١١٥ وأمالى المرتضى ١ / ٥٩٩ والشهاب ٠ / ١ وعيون الأخبار ٤ / ٥٣ .

(٤) م «فلا يرقك» .

(٥) راجع ص ٢١٢ .

وقوله : « فإنَّ ذَاكَ ٱبْتِسَامُ الرَّأى والأَدَبِ » ـ أحسن من قول البحترى : « جِلَاءُ الشَّبَاب » ، وأجود وأبرع وأصح معنى .

* * *

وقال البحترى :

هَا هُوَ الشَّيْبُ لَائِمًا فَأَفِيقِى ... وٱتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقِ[1]

فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمُعَنَّى ... وتَلَافَى مِن ٱشْتِيَاقِ المَشُوقِ

عَذَلَتْنَا فى عِشْقِها أُمُّ عَمْرٍو ... هَلْ سَمِعْتُمْ بالعَاذِلِ المَعْشُوق

ورَأَتْ لِمَّةً أَلَمَّ بها الشَّيْـ ... ـبُ فَرِيعَتْ مِنْ ظُلْمَةٍ فِى شُرُوق

ولَعَمْرِى لَوْلَا الأَقَاصِى لأَبْصَرْـ ... ـتِ أَنِيقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنِيقِ[2]

وسَوَادُ العُيونِ لَوْ لَمْ يُكَمَّلْ ... بِبَيَاضٍ مَا كَانَ بالمَرْمُوقِ[3]

ومِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بالماءِ أَمْلَى ... بِصَبوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وغَبُوق

أَىُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نُجُومٍ ... أَوْ سَحَابٍ يَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

هذا إنما يُخْرِجُه الشاعرُ وأشباهه مخرج النَّادرة فَيُسْتَحْسَن .

وأخذ قوله : « أَىُّ ليل يَبْهَى بغيرِ نُجُوم » من قول الآخر :

أَشِيبُ وَلَمْ أَقْضِ الشبابَ حُقُوقَهُ ... ولَمْ يَمْضِ من عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ[4]

---

(١) ديوان البحترى ٤٣٥ ، ١٤٨٥ وأمالى المرتضى ١ : ٦٠٠ والشهاب ٢٥ وحماسة ابن الشجرى ٢٤٣ .

(٢) م « غير الأنيق » .

(٣) فى الديوان « لو لم يحسن » .

(٤) البيتان من غير نسبة فى حماسة ابن الشجرى ٢٤٤ ومجموعة المعانى ٢٥ وللفرزدق ، كما فى عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ونقله المرتضى فى أماليه ١ : ٦٠٦ هذا وقد قال المرتضى عقب نقله لكلام الآمدى فى الشهاب ٢٦ : « وقد قلنا إنه لا ينبغى أن يقال أخذ فلان كذا من فلان ، وإنما يقال فى البيتين : نهما يتشابهان ويتشاكلان وإن هذا نظير ذاك ولا يزاد على هذا » .

تَفَارِيقُ شَيْب فى السَّوَاد لَوَامعٌ وَمَا خَيْر لَيْلٍ لَيْس فِيهِ نُجُومُ[١]

وقال آخر فى مدح الشيب :

لَا يَرُعْك المَشِيبُ يا ٱبْنَةَ عَبْدِ الـــــلَّهِ فالشَّيْبُ حِلْيَةٌ وَوَقَارُ[٢].

إنَّما تَحْسُنُ الرِّياضُ إذَا مَا ضَحِكَتْ فِى خِلَالِهَا الأَنْوَارُ

* * *

وما أحسن ما قال امرؤُ القَيْس ، وأجوده وأصَحَّه فى التعزى عن المشيب :

أَلَا إنَّ بَعْدَ الْعُدْمِ لِلمَرْءِ قِنْوَةً وبَعْدَ المشيب طُوْلَ عُمْرٍ وَمَلْبَسَا[٣]

وقال آخر . ومن هذا أخَذَ هُوَ وغَيْرُه :

والشَّيْبُ إنْ يَحْلُلْ فإنْ وَرَاءَهُ عُمْرًا يكُونُ خِلالَهُ مُتَنَفَّسُ[٤]

---

(١) قال المرتضى بعد كلامه السابق . ويشبه قول البحترى : « ولعمرى . . قول الشاعر : لا يرعك . . » دون أن يشير إلى نقله من الآمدى .

(٢) البيتان لعلى بن الجهم ، كما فى حماسة ابن الشجرى ٢٤٤ وهما من غير نسبة فى أمالى القالى ١ : ١١٢ « جلة ووقار » ونقلهما المرتضى فى أماليه ١ : ٦٠٢ والشهاب ٢٦ وأحسن ما سمعت ١٢٤ .

(٣) ديوان امرئ القيس ١٠٨ .

(٤) البيت لغيلان بن سلمة ، كما فى عيون الأخبار ٤ : ٥٢ ولشاعر ثقيف فى الجاهلية ، كما قال عبد الملك بن مروان ، كما فى خبر رواه أبو الفرج الأصفهانى ١١ : ١٠٢ وغير منسوب فى أمالى القالى ١ : ١١٢ وأمالى المرتضى ١ : ٥٩٦ والشهاب ٨٥ .

رفع المسهم

ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال

قال أبو تمام [١] :

. . . .

وقال :

سَيُثْلِجُ صَدْرى اليَأْسُ، واليَأْسُ مَنْهلٌ ... مَتَى تَغْتَرِفْ مِنْهُ الجَوَانِحُ تثْلَجِ [1]

قَنِعْتُ عَلَى كُرْهٍ ، وطَأْطَأْتُ نَاظِرِى ... إلَى رَنَقٍ مَطْرُوقٍ مِنَ العَيْشِ حَشْرَجِ

ولَجْلَجْتُ فى قَوْلِى وكنتُ مَتَى أَقُلْ ... بمَسْمَعةٍ فى مَجْمَعٍ لا أُلَجْلِجُ

يَظُنُّ العِدَى أَنِّى فَنِيتُ وإنَّمَا ... هى السِّنُّ فى بُرْدٍ مِنَ الشَّيْبِ مُنْهَجِ

نَضَوْتُ الصِّبَا نَضْوَ الرِّدَاءِ وسَاءَنِى ... مُضِىُّ أَخِى أُنْسٍ مَتَى يَمْضِ لا يَجِى

مَضَى جَعْفَرٌ والفَتْحُ بَيْنَ مَرَمَّلٍ ... وبَيْن ضَجيعٍ بالدِّمَاءِ مُضَرَّجِ

أَأَطْلُبُ أَنْصَارًا على الدهر بَعْدَمَا ... ثَوَى مِنْهُمَا فى التُّرْب أَوْسِى وخَزْرَجِى

أُولئكَ سَادَاتِى الذِين برَأْيِهِمْ ... حَلَبْتُ أَفَاوِيقَ الرَّبِيعِ المُثَجَّجِ

مَضَوْا أَمَمًا قَصْدًا وخُلِّفْتُ بَعْدَهُمْ ... أُخَاطِبُ بالتَّأْمِيرِ والىَ مَنْبَج

وهذا من إحسانه المشهور .

وقال :

ومُعَيِّرِى بالدَّهْرِ يَعْلَمُ فى غَدٍ ... أَنَّ الحَصَادَ وَرَاءَ كُلِّ نَبَاتِ [2]

أُبَنَىَّ إنِّى قَدْ نَضَوتُ بَطَالَتِى ... فَتَحَسَّرَتْ ، وصَحَوْتُ مِنْ سَكَرَاتِى

نَظَرَتْ إلَىَّ الأَرْبَعُونَ فَأَصْرَحَتْ ... شَيْبِى ، وهَزَّتْ لِلْحُنُوِّ قَنَاتِى

وأَرَى لِدَات أَبِى تَتَابَعَ كُثْرُهُمْ ... فَمَضَوْا ، وكَرَّ الدَّهْرُ نَحْوَ لِدَاتِى

ومِنَ الأَقَارب مَنْ يُسرُّ بمِيتَتِى ... سَفَهًا وعِزُّ حَيَاتِهِمْ بِحَيَاتِى

---

(١) ديوان البحترى ٦٤٥ ، ١/٤١٧ دار المعارف . والأبيات الأربعة التى تليه فى الشهاب ٢٦ .

(٢) ديوانه ٤٥٥ ، ١ / ٣٦٤ والشهاب ٢٦ .

وقال :

عَقَلْتُ فَوَدَّعْتُ التَّصَابِى وإنَّمَا تَصَرُّمُ لَهْوِ المَرْءِ أنْ يَكْمُلَ العَقْلُ[1]

أرَى الحِلْمَ بُؤْسى فى المَعِيشَةِ لِلْفَتَى ولا عَيْشَ إلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الجَهْلُ

وهذا إحسان البحترى الذى لا يفِى ببراعةِ مَعْنَاهُ شىء .

(١) ديوان البحترى ٦٠ .

رفع المسهم

باب

فى ذكر الزمان ، وذكر ظلمه واعوجاجه ، وتعذر الرزق على ذوى الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز ، وفى التعزى والصبر والقناعة ، وما قالاه فى ضد ذلك من بعد الهمة ، والنهوض فى طلب الرزق ، والسير على الإبل ، وقطع الفيافى ، وفى مواعظ وآداب .

وأفتتح هذا الباب بأبيات الابتداآت فى نحو هذه المعانى .

ولا أعرف لأبى تمام فى شىء من هذا [شعرًا] .

ووجدت للبحترى فى ذم الزمان هذه الأبيات :

لَا الدَّهْرُ مُسْتَنْفَدٌ وَلَا عَجَبُهْ تَسُومُنَا الخَسْفَ كُلَّهُ نُوَبُهْ[1]

* * *

[وقال][2] :

مَنْ قَائِلٌ لِلزَّمَان مَا أَرَبُهْ فى خُلُقٍ مِنْهُ قَدْ خَلا عَجَبُهْ[3]

وقال :

مَعَ الدَّهْرِ ظُلْمٌ لَيْسَ يُقْطَعُ دَائِبُهْ وحُكْمٌ أَبَتْ إِلَّا اعْوِجَاجًا جَوَانِبُهْ[4]

* * *

(١) ديوان البحترى ٢٠٥ ، ١ / ٢٠٧ دار المعارف .

(٢) زيادة لازمة .

(٣) ديوانه ١٩٧ ، ١ / ٢٧٧ .

(٤) ديوانه ١٥٨٨ / ٢١٩ « يقلع راتبه » .

[وقال][1] :

إِسَاءَةُ دَهْرٍ بَرَّحَتْ بى نَوَائِبُهْ ... وخَطْبُ زَمَانٍ بالكَلَامِ أُخَاطِبُهْ[2]

وقال :

تَخَلَّ مِنَ الأَطْمَاعِ إِمَّا تَخَلَّتِ ... وَوَلِّ صُرُوفَ الدَّهْرِ مَا قَدْ تَوَلَّتِ[3]

وقال :

اعْجَبْ لِظُلْمِ زَمَانِنَا المُتَوَاتِرِ ... ولأَوَّلٍ مِمَّا يُرِيكَ وآخِرِ[4]

وقال :

نَوَازِلُ دَهْرٍ أَيُّهُنَّ أُنَازِلُ ... بِعَزْمِى أَمْ مِنْ أَيِّهِنَّ أُرَائِلُ[5]

وقال :

لَيْسَ الزَّمَانُ بمُعْتِبٍ فَزَرِينِى ... أَلْقَى تَجَهُّمَ خَطْبِهِ بجَبِينِى[6]

وقال :

نَسْعَى وأَيْسَر هَذَا السَّعْى يَكْفِينَا ... لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَعْنِينَا

وقال :

صُنْتُ نَفْسِى عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِى ... وتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدا كُلِّ جِبْسِ[7]

وقال فى النهوض لطلب الرزق :

أَشَرِّقُ أَمْ أُغَرِّبُ يَا سَعِيدُ ... وأَنْقصُ مِنْ زَمَاعِى أَمْ أَزِيدُ[8]

---

(١) زيادة لازمة كذلك .

(٢) ديوانه ٦٦٠ ، ١ / ٢٨٥ .

(٣) ديوان البحترى ٧٨٣ ١ / ٣٦٧ .

(٤) ديوانه ٦٦١ « نوائب دهر . . أو من » .

(٥) ديوانه ٢١١ « الزمان بمعتبى . . أرى » .

(٦) ديوانه ١٦٧ ، ٢ / ١١٥٢ .

(٧) ديوانه ٤١٤ ، ١ / ٥٨٠ .

(٨) ديوانه ٢ / ٩٤٥ دار المعارف .

ماقالاه من هذه المعانى فى وسط الكلام
فى ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نُوَبِهِ

قال أبو تمام :

أُسِيءُ عَلَى دَهْرِى الثَّنَاءَ فَقَدْ قَضَى ... عَلَىَّ بَجَوْرٍ صَرْفُهُ المُتَتَابِعُ[1]
أَيَرْضَخُنَا رِضْخَ النَّوَى وهو مُصْمِتٌ ... وَيَأْكُلَنَا أَكْلَ الدَّبَا وهو جائِعُ[2]
وإنِّى إذَا أَلْقَى بِرَبْعِىَ رَحْلَهُ ... لأَزْعَرُه فِى سِرْبِهِ وهو رَاتِعُ[3]
أَخو مَنْزِلِ الهَمِّ الذى لَوْ بغَى القِرَى ... لَدَى حَاتِمٍ لَمْ يَقْرِهِ وهو طَائِعُ[4]
إذَا شَرَعَتْ فيه اللَّيَالِى بنَكْبَةٍ ... تَمَزَّقْنَ عَنْهُ وهو فى الصَّبْرِ دَارِعُ[5]
[لَهُ هِمَمٌ ما إنْ تَزَالُ سُيُوفَها ... قَوَاطِعَ لَوْ كَانَتْ لَهُن مَقَاطِعُ]

قد روى : « ويأْكلنا أَكل الدَّبَا وهو جائع » وهو عندى أشبه وأصح إن شاء الله ؛ و « يأْكلنا أَكل الرِّبَا » لأَن الرِّبَا يأْكل النِّعم ، ويَمْحَقُ المال .

وقوله : « لو كَانَتْ لَهُنَّ مَقَاطِعُ » : أى شىءٌ يقطعه.

---

(١) ديوان أبى تمام ٤٧٨ « الدهر » .
(٢) الدبا : أصغر ما يكون من الجراد والنمل ، كما فى اللسان ١٨ : ٢٧٢ .
(٣) فى الديوان « عن سربه » .
(٤) فى الديوان « أخو منزل » .
(٥) فى الديوان « وهو بالصبر شارع » .

رفع المسهم

وقال :

لَقَدْ سَاسَنَا هَذَا الزَّمَانُ سِيَاسَةً سُدًى لَمْ يَسُسْهَا قَطُّ عَبْدٌ مُجَدَّعُ[1]
تَرُوحُ عَلَيْنَا كلَّ يَوْمٍ وتَغْتَدِى خُطُوبٌ كأَنَّ الدَّهرَ مِنْهُنَّ يُصْرَعُ
حَلَتْ نُطَفٌ مِنْهَا لِنِكْسٍ، وذُو الحِجَا يُدافُ له سَمٌّ مِنَ العَيْشِ مَنْقَعُ

قد عاب الناس عليه قوله : « كأَنَّ الدهرَ منهن يُصْرَعُ » وهو ـ لعمرى ـ قبيح .

وقال :

كَمْ فَتًى ذَلَّ لِلزَّمَان وَقَدْ أَلْقَى مَقَالِيدَهُ إليه القَبيضُ[2]
لَوْذَعِيٌّ يُهَلِّلُ المَشْرَفِيُّ الـ عَضْبُ عَنْهُ والزَّاعِبِيُّ النَّحيضُ[3]
أَتْأَرَتْنِى الأَيَّامُ بالنَّظَرِ الشَّزْ رِ وكَانَتْ وطَرْفُهَا لى غَضِيضُ
كَيْفَ يُمْسِى برَأْسِ عَلْيَاءَ مُمْسٍ وجَنَاحُ السُّمُو منْهُ مَهِيضُ[4]
هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ ، وَجَدٌّ آلِفٌ للحَضِيضِ فَهْو حَضِيضُ

قوله : « أَتْأَرَتْنِى الأَيَّامُ » . أى أدامت نظرها إلىَّ ؛ يقال : أَتْأَرْتُ إليه النظر : إذا أحددته .

والقبيض : اسم لِجِلَّةِ[5] الخَلْق » . واللَّوْذَعِىّ الحَدِيدُ الفؤاد .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٩٠ وشرح التبريزى ٢ : ٣٢٤ وفى م « لو ساسنا » سدى : مرسلة مهملة ؛ لأنه حرم المستحق وأعطى غير المستحق ، إلى غير ذلك مما تقتضى السياسة غيره . ومجدع : جدع أنفه وأذناه . كما فى شرح التبريزى .

(٢) ديوانه ١٧١ وشرح التبريزى ٢ : ٢٨٩ .

(٣) م « والزاغبى » .

(٤) فى الديوان « علياء مضح » .

(٥) م « الجهلة » .

والمَشْرَفِيّ : السيف منسوب إلى المشارف ، قرى تعمل فيها السيوف .

والنَّحِيضُ : الذى قد ذهب نَحْضُه أى[١] لحمه ، وإنما يعنى سنان الرمح أنه قد دُقِّق وحُدِّد .

والزَّاعِبِيُّ : الرمح . قيل : هو منسوب إلى رجل كان يُقَوِّم الرماح يقال له زَاعِب ، وقال قوم زاعب : موضع لا تعرف حقيقته . ويقال : التَّزعُّبُ : السرعة والنشاط. فيجوز أن يكون قيل زاعبى لحركته وتثنيه .

* * *

وقال البحترى :

وَمَا جَزَعُ الجَزُوعِ مِنَ اللَّيَالِى بِمُحْرِزِهِ ولا جَلَدُ الجَلِيدِ[٢]
جَحَدْنا سُهْمَةَ الحَدَثَان فِينَا لَو أَنَّ الحقَّ يَبْطُلُ بالجُحُودِ[٣]
فَيَا وَيْحَ الحَوادث كَيْفَ تُعْطِى شَقِىَّ القَوْمِ مِنْ حَظِّ السَّعِيدِ[٤]
وكيفَ تَجُورُ إنْ حَكَمَتْ بحُكْمٍ فَتَحْمِلُ لِلْغَوِىِّ عَلَى الرَّشِيدِ[٥]
وَمَا بَرِحَتْ صُروفُ الدَّهْر حتَّى أَرَتْنَا الأُسْدَ قَتْلَى لِلْقُرُودِ

وهذا مما لا مزيد على حسنه وجودته لفظًا ومعنى .

وقال :

يَغْتَرّ بالدَّهْر ذُو الإِضَاعَةِ وَالـــدَّهْرُ عَدُوٌّ مَطْلُوبَةٌ إِحَنُهْ[٦]

---

(١) م « إلى لحمه » .
(٢) ديوان البحترى ٧٩٤ ، ١ / ٥١٨ دار المعارف .
(٣) وبعده :
وننكر أن تطرقنا المنايا كأنا قد خلقنا للخلود
(٤) م « فيا ربح » .
(٥) فى الديوان « إن همت بحكم » .
(٦) ديوانه ٣٣٤ .

فى زَمَنٍ رَنَّقَتْ حَوَادِثُهُ أَشْبَهُ شيءٍ بحَادِثٍ زَمَنُهْ
رَضِيتُ مِنْ سَيِّئِ الزَّمَان بأَنْ يَعْشُرَهُ غيرُ زائدٍ حَسَنُهْ

رنّقت حوادثه : دَنَتْ ورَفْرَفَتْ كما يُرنِّق النّسر .

وهذا أيضاً حسن .

وقال :

أَرَانَا عُنَاةً فى يَدِ الدَّهْرِ نَشْتَكِى تَأَكُّدَ عَقْدٍ مِنْ عُرَاهُ وَثِيقِ[1]
ولَيْسَ طَلِيقُ اليومِ إنْ رَجَعَتْ لَهُ صروف الليالى فى غَدٍ بطَلِيقِ[2]
تَفَاوَتَتِ الأَيَّامُ فِينَا فَأَفْرَطَتْ بِظَمْآنَ بَاد لَوْحُهُ وغَرِيق
وكُنْتُ إذا مَا الحَادِثَاتُ أَصَبْنَنِى بهَايِضَةٍ صُمِّ العِظَام دَقُوق –
شَمَخْتُ فَلَمْ أَبْدِ اخْتِشاعًا لِشَامِتٍ ولَمْ أَبْتَعِثْ شَكْوَى لِغَيْرِ شَقِيقِ[3]
أَرَى كُلَّ مُؤْذٍ عَاجِزًا عَن أَذِيَّتِى إِذَا هُوَ لَمْ يُنْصَرْ عَلَىَّ بِمُوقِ

فقد ترى هذه الفصاحة والبلاغة ، والألفاظ الحلوة المتمكنة ، والمعانى القريبة العجيبة .

وأجود من قوله : «وكُنْتُ إذا ما الحَادِثَاتُ أَصَبْنَنِى . . .» والبيت بعده قَوْل العكَوَّك[4] :

أَلاَ ربَّ هَمٍّ يُمْنَعُ النَّوْمُ دُونَهُ أَقَامَ كَقَبْضِ الرَّاحَتَيْنِ عَلَى الجَمْرِ[5]

---

(١) ديوان البحترى ٥٢٣ ، ١٥٣٠ .
(٢) فى الديوان « طليق القوم من رجعت » .
(٣) م فى الديوان « فلم أبد اختتاء » .
(٤) م « عكوك » .
(٥) م « كفيض » .

بَسَطْتُ له وَجْهى لأَكْبِتْ حَاسدًا ... وأَبْدَيْتُ عَنْ نَابٍ ضَحُوكٍ وعَنْ ثَغْر
وشَوْقٍ كأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ فى الحَشَا ... مَلَكْتُ عليه طاعةَ الدَّمْعِ أَن يَجْرى

* * *

وقال البحترى :

أَطِلْ جَفْوَةَ الدُّنْيَا وتَهْوِينَ شَأْنِهَا ... فَمَا العَاقِلُ المَغْرُورُ فيها بعَاقِلِ[1]
يُرَجِّى الخُلُودَ مَعْشَرٌ ضَلَّ رَأْيُهُمْ ... ودُونَ الذى يَرْجُونَ غَولُ الغَوَائِلِ
ولَيْسَ الأَمَانِى فى البَقَاءِ وإِنْ مَضَتْ ... بها عَادَةٌ إلا أَحَادِيثُ بَاطِلِ
إذا مَا حَرِيزُ القومِ بَاتَ وَمَالَهُ ... مِنَ اللهِ وَاقٍ فَهوَ بَادِى المُقَاتِلِ
وَمَا المُفْلِتُونَ أَجْمَلَ الدَّهْرُ فِيهِمِ ... بأَكْثَرَ مِنْ أَعْدَادِ مَنْ فى الحَبَائِلِ
يُسَارُ بنَا قَصْدَ المَنُونِ وإِنَّنَا ... لَنَشْعَفُ أَحْيانًا بطَىِّ المَرَاحِلِ
عِجَالًا عَنِ الدُّنْيَا بأَسْرَعِ سَعْيِنَا ... إلَى آجِلٍ منها شَبِيهٍ بعَاجِل[2]
أَوَاخِرُ مِنْ عَيْشٍ إذَا مَا امْتَحَنْتَهَا ... تَأَمَّلْتَ أَمْثَالًا لَهَا فى الأَوَائِلِ
وَمَا عَامُكَ المَاضِى وإِنْ أَفْرَطَتْ بِهِ ... عَجَائِبُهُ إلَّا أَخُو عَامِ قَابِلِ
غَفَلْنَا عَنِ الأَيامِ أَطْوَلَ غَفْلَةٍ ... وما خَوْفُها المَخْشِىُّ عَنَّا بِغَافِلِ[3]
تُغَلْغَلَ رُوَّادُ الفَنَاءِ ونَقَّبَتْ ... دَوَاعِى المَنُونِ عَنْ جَوَادٍ وبَاخِلِ

وقال :

إذَا عَاجِلُ الدُّنْيَا أَلَمَّ بِمُفْرِحٍ ... فَمِنْ خَلْفِهِ فَجْعٌ سَيَتْلُوهُ آجِلُ[4]
وكانَتْ حَيَاةُ الحىِّ سَوْقًا إلى الرَّدَى ... وأَيَّامُهُ دُونَ المَمَاتِ مَرَاحِلُ[5]

---

(١) ديوان البحترى ٦٣٨ « منها بعاقل » .
(٢) فى الديوان : « من الدنيا » .
(٣) فى الديوان « وما خوفها » .
(٤) ديوانه ٤٩٠ ، ١٧٣١ .
(٥) م « الحى شوقا » .

وما لُبْثُ مَنْ يَغْدُو وفى كُلِّ لَحْظَةٍ لَهُ أَجَلٌ فى مُدَّةِ العُمْرِ قَاتِلُ
وللمرءِ يَوْمٌ لا مَحَالَةَ مَالَهُ غَدٌ وَسْطَ عَامٍ مَالَهُ الدَّهْرَ قَابِلُ
كَفَانَا اعْتِرَافًا بالفَنَاءِ ورِقْبَةً لِمَكْرُوهِهِ أَنْ لَيْسَ لِلْخُلْدِ آمِلُ

* * *

وقال :

أَنَاةً أَيُّها الفَلَكُ المُدَارُ أَنَهْبٌ مَا تُطَوِّفُ أَمْ خِيَارُ[1]
سَتَفْنَى ، مِثْل مَا تُفْنِى وتَبْلَى كما تُبْلِى فَيُدْرَكُ مِنْكَ ثَارُ
تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ ويَدْمُرُ فى تَصَرُّفِهِ الدَّمَارُ
وَمَا أَهْلُ المَنَازِلِ غيرُ رَكْبٍ مَنَايَاهُمْ رَوَاحٌ وابْتِكَارُ
لَنَا فى الدَّهْرِ آمَالٌ طِوَالٌ تُرَجِّيها ، وأَعْمَارٌ قِصَارُ[2]

وقال :

أُخَىَّ : مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ لَهَا ، ومتى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَاصْدُقِ
أَرَى عِلَلَ الأَشياءِ شَتَّى ، ولا أَرَى تَجمُّعَ إِلَّا عِلَّةَ للتَّفَرُّقِ
أَرَى العَيْشَ ظِلًّا تُوشِكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ فَكِسْ فى ابْتِغَاءِ العَيْشِ كَيْسَكَ أَوْ مِقِ[3]
أَرَى الدَّهْرَ غُولًا للنُّفُوسِ وإِنَّما يُقِى اللهُ فى بَعْضِ المَوَاطِنِ مَنْ يُقِى
ولَمْ أَرَ كالدُّنيَا حَلِيلَةَ وَامِقٍ مُحِبٌّ مَتَى تَحْسُنْ بِعَيْنَيْهِ تَطْلُقِ
تَرَاهَا عِيَانًا وَهْىَ صَنْعَةُ وَاحِدٍ فَتَحْسَبُها صُنْعَىْ لَطِيفٍ وأَخْرَقِ[4]

---

(١) ديوان البحترى ٦٩٤ ، ٢ / ٩٥٩ .
(٢) نقلها المرتضى فى أماليه ١ : ٢٧٩ والثانى ، والثالث وما بعده فى مجموعة المعانى ٦ .
(٣) ديوانه ١٥٥٢ م « فكش . . كلسك أومق »
(٤) فى أمالى المرتضى ٢ : ٢٢٩ « وقد قيل : إن السبب فى خروج البحترى عن بغداد فى آخر أيامه . كان هذه الأبيات : لأن بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوى من حيث قال : « فتحسبها صنعى لطيف وأخرق » وكانت العامة حينئذ غالبة على البلد ، فخاف على نفسه فقال لابنه أبى الغوث : قم يا بنى حتى نطئ عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها ببلدنا ، فخرج ولم يعد » .

فانظر أشعار أهل الزهد وتأملها ، هل ترى فيها من هذا النحو شيئًا ؟ هيهات ؛ هذا مذهب يتقدم كل مذهب .

وقال :

أَرَى غَفْلَةَ الأَيَّامِ إعْطَاءَ مَانِعٍ ... نَصِيبَكَ أَحْيَانًا وحِلْمَ سَفيهِ[1]

إِذَا مَا نَسَبْتَ الحادِثَاتِ وَجَدْتَهَا ... بَنَاتِ الزَّمانِ أُرْضِعَتْ لِبَنِيهِ[2]

مَتَى أَرَت الدُّنْيَا نَبَاهَةَ خَامِلٍ ... فَلَا تَنْتَظِرْ إِلَّا خُمُولَ نَبِيهِ

وقال :

أَغْشَى الخُطُوبَ فَإِمَّا جِئْنَ مَأْرَبَتِى ... فيما أُسَيِّرُ أَوْ أَحْكَمْنَ تَأْدِيبِى[3]

إِن تَلْتَمِسْ تَمْرِ أَخْلَافَ الخُطُوبِ وإِنْ ... تَلْبَثْ مَعَ الدَّهرِ تَسْمَعْ بالأَعاجيبِ[4]

* * *

وما أحسن ما قال ابن عيينة :

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ ولا ٱبْتَكَرَا ... إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فيهِ إِن ٱعْتَبَرَا

وَلَا أَتَتْ سَاعَةٌ فى الدَّهْرِ فَٱنْصَرَمَتْ ... حَتَّى تُؤَثِّرَ فى قَوْمٍ لَهَا أَثَرَا

إِنَّ اللَّيَالِيَ والأَيَّامَ أَنْفُسَهَا ... عَنْ عَيْبِ أَنْفُسِها لَمْ تَكْتُمِ الخَبَرَا

أنشد المبرد هذه الأبيات[5] ، وذكر أن الطائى أخذ هذا المعنى وجمعه فى ألفاظ يسيرة فقال :

عَمْرِى لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ وإِنَّهُ ... لَمِنَ العَجَائِبِ نَاصِحٌ لَا يُشْفِقُ

---

(١) ديوان البحترى ٢٣٥ « يصيبك أحياناً » .

(٢) فى الديوان « أرصدت لبنيه » .

(٣) ديوانه ٣٢٧ .

(٤) فى الديوان « أخلاف الأمور » .

(٥) فى الكامل ١ : ٣٥٩ .

أراد أن قوله : «عَمْرِى لَقَدْ نَصَحَ الزَّمَانُ» - من قوله : «إِلَّا رَأَى عِبْرَةً فيه إن اعْتَبَرَا» . كأنه أراد أن ما يأْتى فيه من العبر كأنه نُصْحٌ[1] مِنه وتنبيه .

وكذلك قوله : «ولا أَتَت سَاعَةٌ» وقوله : «إِنَّ اللَّيَالِىَ والأَيَّام» . فجعل هذا كله كنصح[2] من الزمان لما يُرِينَاهُ من العبر .

قال أَبو العباس : وزاد عليه بقوله : «ناصح لَا يُشْفِقُ»[3].

وما قاله الناس فى هذا المعنى أكثر من أن يحتاج الطَّائى إلى أن يأْخذه من وهذه الأَبيات .

---

(١) م «فيه» .

(٢) م «لنضح» .

(٣) نص كلام المبرد : «فزاد بقوله : ناصح لا يشفق على قول ابن عيينة - شيئاً طريفا ، وهكذ يفعل الحاذق بالكلام» .

فى المواعظ والآداب

وقال [البحترى] :

مَتَى تَسْتَزِدْ فَضْلًا مِنَ الْعُمرِ تَغْتَرِفْ ... بِسَجْلَيْكَ مِنْ شهْدِ الخُطُوبِ وصَابِهَا[1]

تُشَذِّبُنَا الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَعْيِهَا ... وغُولُ الأَفَاعِى بَلَّةٌ مِنْ لُعَابِهَا

يُسَرُّ بِعُمْرَانِ الدِّيارِ مُضَلَّلٌ ... وعُمْرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا

ولَمْ أَرْتَضِ الدُّنْيَا أَوانَ مَجِيئِهَا ... فَكَيْفَ ٱرْتِضَائِيها أَوَانَ ذَهَابِهَا

أَقُولُ لِمَكْذُوبٍ عَنِ الدَّهْرِ رَاغَ عَنْ ... تَخَيُّرِ آرَاءِ الحِجَا وٱنْتِخَابِهَا :[2]

سيُرْدِيكَ أَوْ يُتْوِيكَ أَنَّكَ مُحْبَسٌ ... إلى شُقَّةٍ يُبْلِيكَ بُعْدُ مابها[3]

فهذا ، والله ، الوعظ الذى لو سمعه أبو العَتَاهِيَةَ لَضَلَّت مقاليده .

وقوله : « مُحْبَسٌ » أى موقوف إلى أن تصير إلى هذه الشقة ، من قولك : ٱحْتَبَسْتُ[4] فرسًا فى سبيل الله ، وٱحْتَبَسْتُ دارًا ، أى وقَفْتُ دارًا . فأَمَّا حَبَسْتُ ، فإن ذاك من حبست الرجل فى الحبس ، وحبسته عن طريقه ، ونحو هذا .

---

(١) ديوان البحترى ٣١٢ ، ٢٣١ دار المعارف .

(٢) فى الديوان « زاغ » .

(٣) فى الديوان : « أنك مخلس » .

(٤) م « احتسبت » .

فى الصبر والقناعة

قال أبو تمام :

عِنْدِى مِنَ الأَيَّامِ مَا لَوْ أَنَّهُ أَضْحَى بِشَارِبِ مُرْقِدٍ مَا غَمَّضَا[1]
لَا تَطْلُبَنَّ الرِّزْقَ بَعْدَ شِمَاسِهِ فَتَرُومَهُ سَبُعًا إِذَا ما غَيَّضَا
ما عُوِّضَ الصَّبْرَ امْرُؤٌ إِلَّا رَأَى مَا فَاتَهُ دُونَ الذى قَدْ عُوِّضَا

«شارب مُرْقد» مثل غير جيد ولا حسن ، ولا زال الناس يعيبونه .

وقال :

لا تَأْخُذِينِى بالزَّمَانِ فَلَيْسَ لِى تَبَعًا ، ولَسْتُ عَلَى الزَّمَانِ كَفِيلَا[2]
مَنْ زَاحَفَ الأَيَّامَ ثُمَّ عَبَا لَهَا غَيْرَ القَنَاعَةِ لَمْ يَزَلْ مَفْلُولَا
مَنْ كَانَ مَرْعَى عَزْمِهِ وهُمُومِهِ رَوْضُ الأَمَانِى لَم يَزَلْ مَهْزُولَا
لَوْ جَازَ سُلْطَانُ القُنُوعِ وحُكْمُهُ فى الخَلْقِ مَا كَانَ القَلِيلُ قَلِيلَا[3]
الرِّزْقُ لَا تَكْمَدْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَأْتِى وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيهِ رَسُولَا[4]

يريد من لم يقنع وكان أبدًا يتمنى – لَمْ يَزَل مَهْزُولا .

---

(١) ديون أبى تمام ١٨٥ وشرح التبريزى ٢ : ٣٠٣ « أى عندى من جهة الأيام من المحن ما لو تصور بشارب دواء منيم لم يغمض غما وتفكراً » .
(٢) ديونه ٢٤٣ وشرح التبريزى ٣ : ٦٧ .
(٣) فى الديوان « فى الأرض » .
(٤) وفيه « لا تحرص » .

وقوله : « لو جَازَ سُلْطانُ القُنُوع » ، وهو يريد القناعة ؛ لأن المتأخرين فى هذا الموضع يستعملون القنوع .

« مَا كانَ القَلِيلُ قلِيلا » أى لو كان حكم القناعة جائزًا نَافِذًا فى الخلق . أى لو قنع الخلق ما كان القليل قليلا ، أى ما كان أحد يَسْتَقِلُّ القليلَ ، بل كان عنده بالقناعة كثيرًا . أفصح بمدح القناعة فقال :

الرِّزْقَ لَا تَكْمَدْ عَلَيْه فَإِنَّهُ يأْتى ولَمْ تَبْعَثْ إليه رَسُولَا

وإنما أخذ هذا من قول [عُرْوَةَ بن] أُذَيْنَة :

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعْيِينِى تَطَلُّبُهُ ولو قَعَدْتُ أَتَانِى لا يُعَنِّينِى[1]

ثم نقض أبو تمام هذا كله بأن قال فى إثْرِ هذا البيت – بغير فاصِلَةٍ تَفْصِل بينهما – يَصِفُ النّاقةَ وقَطْعَه عليها الفلاةَ إلى الممدوح ، فقال :

لِلّهِ دَرُّكِ أَىُّ مَعْبَرِ قَفْرَةٍ لا تُوحِشُ ابْنَ البَيْضَةِ الإِجْفِيلَا
بِنْتُ الفَضَاءِ مَتَى تَخِدْ بِكَ لا تَدَعْ فى الصَّدْرِ مِنْكَ عَلَى الفَلَاةِ غَلِيلَا[2]
أَوَ مَا تَرَاهَا لَا تَرَاهَا هِزَّةً تَشْأَى العُيُونَ ذَوالِقًا وَذَمِيلَا[3]
لَوْ كَانَ كَلَّفَها عُبَيْدٌ حَاجَةً يَوْمًا لَزَنَّ شَدْقَمًا وَجَدِيلَا[4]

« ابن البَيْضَةِ » : الظليم . والإِجْفِيلُ : السَّريع الانْجِفَال يعنى الذهاب. يقول : لا توحشه هذه الناقة لكثرة قطعها الفيافى وإلف الظُّلْمان[5] لها.

(١) الأغانى ٢١ : ١٦٢ والشعر والشعراء ٢ : ٥٦٠ . وأمالى المرتضى ١ : ٤٠٨ ، ٤١٥ .
(٢) فى الديوان « بنت القفار » .
(٣) راجع رواياته المختلفة فى شرح التبريزى وهامشه ٣ : ٦٩ .
(٤) إعجاز القرآن ١٦٦ والموشح ٣١١ .
(٥) م « وإلف الظبان » .

ودل على أنه الظليم بقوله : « ابن البيضة » ولو كان جرى له ذكر لما كان لذكر البيضة معنى ، إذ كل ظليم وكل طائر فهو ابن البيضة .

وقوله : « أَوَ مَا تَرَاها هِزَّةً » أى من سرعة مَرِّها وٱهتزازها فى سيرها لا تكاد ترى صُورتَها .

تَشْأَى العُيُونَ : تسبقها . ذَوَالِقًا : جمع ذليقة ، والذَّلَاقَةُ : السرعة والمَضَاء .

ويروى « دَوَالِقًا » بالدال غير معجمة ، جمع دَالِقَة ، والدالق : الخارج ، يقال : سيفٌ دَالِقٌ إذا كان خارجًا مِنْ غِمْدِه .

وكان ينبغى أن يقول : تشأَى العيون اندلاقاً وذميلا ، أو ذلاقة — معجمة الذال — وذميلا ؛ لأن قوله : « وَذَمِيلًا » لا يكون مَنْسُوقًا على ذَوَالِق . وأظنُّه جعل الذَّمِيل ، مَنْسُوقًا على هِزَّة .

والذَّمِيلُ هاهنا رَدِىء ؛ لأنه ضَرْبٌ من سير الإبل لَيِّن ، وهو يَصف السرعة .

وعُبَيدٌ : يعنى البَيْطَارَ الذى ذكره الأَعْشَى فى شعره ، فقال يصف ناقةً[1] :

لَمْ تَعَطَّفْ عَلَى حُوَارٍ وَلَمْ يَقْـ ـطَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالِ[2]

وكان يعالج الإبل . أى لو كلفها عبيد حاجة ، أى سيرًا عليها لحاجة « لَزَنَّأَ شَدْقَمًا وجَدِيلا » وهما فحلان من فحول العرب النَّجِيبَة المذكورة — لما يرى من سرعتها ونجابتها .

---

(١) م « نصف » .

(٢) ديوانه ٦ وفى اللسان ١٣ : ٢٣٥ « والخمال : داء يأخذ فى مفاصل الإنسان وقوائم الخيل والشاء والإبل ، تظلع منه ، ويداوى بقطع العرق ، ولا يبرح حتى يقطع منه عرق أو يهلك — ثم أنشد بيت الأعشى هذا ، وقال : أى لم يكن لها لبن فتعطف على حوار لترضعه » .

وهذا غاية ما يكون من سُخْفِ المعنى وركاكته ؛ لأَنَّ زَنَّاً من ألفاظ الجهال والصبيان . وإنما أراد لو سار عليها عبيد ، هذا العالم بأمر الإبل ، فى بعض حاجة – لصغر عنده ، أَوْ لَهَانَ عليه أَمْرُ شَدْقَمْ وجَدِيل . فلم يهتد بلفظ من هذا النحو فقال : « لَزَنَّاً شَدْقَماً وجَدِيلًا » . أتراه كان يقول لهما : يا زانيين ، أو يا بنى الزانيين . إن هذا من حماقات الطائى المُحْكَمَة ، وسخفه العجيب مع ما فى أبياته هذه من نقض المعنى الذى ذكره فى الأبيات قبلها من الحث على القناعة ، والقعود عن الحركة والاضطراب .

* * *

وقال البحترى :

لَعَمْرُكَ كَيْفَ نَرْصف مَا عَدَانَا ... مِنَ الدُّنْيَا ، ونَسْخَطُ مَا يَجينَا[1]
عَنَانَا مَا عَسَاهُ يَزولُ عَنَّا ... وأَنْصَبَنَا تكَلُّفُ مَا كُفِينَا[2]
يُقَيِّضُ لِلْحَرِيصِ الغَيْظُ بَحْتًا ... [وتَتَّجِهُ الحُظُوظُ] لِمَنْ قُضينَا
ومَا هُوَ كَائِنٌ وإن اسْتَطَلْنَا ... إِلَيْه النَّهْجَ يُوشِكُ أَنْ يَكُونَا
فلا تُغْرَرْ مِنَ الأَيَّامِ وانْظُرْ ... إلى أَقْسَامِهَا عَمَّنْ زُوِينَا[3]

وقال :

نَسْعَى وأَيْسَرُ هَذَا السَّعْى يَكْفِينَا ... لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَعْنِينَا
نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَى رِيَاضَتِهَا ... عَلَى مُوَاتَاة دَهْرٍ لا يُوَاتِينَا
فَلَيْتَ مُسْلِفَنَا الأَعْمَارَ أَنْظَرَنَا ... مُجَامِلًا فَتَأَنَّى فى تَقَاضِينَا

وهذا كله ما لا مزيد على حسنه وصحته وحلاوته .

---

(١) ديوان البحترى ٥٥٣ « بعمرك . . ما أتانا . . . ما يجينا » .
(٢) فى الديوان « ما عناه يزال عنا » .
(٣) فى الديوان « أقسامنا » .

رفع المسيهما

وقال :

ضيّق العُذْرَ فى الضَّراعَةِ أَنَّا لَوْ قَنَعْنَا بقسْمِنا لكَفَانَا[1]
مَا لَنَا نَعْبُدُ العِبَادَ إذا كَا نَ إلى اللهِ فَقْرُنَا وغِنَانَا

وقال :

لَوْ أَنَّنِى أُوفِى التَّجَارِبَ حَقَّها فِيمَا أَرَتْ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ[2]
والشَّىْءُ تُمْنَعه تَكُونُ بِفَوْتِهِ أَجْدَى مِنَ الشَّىْءِ الذى تُعْطَاهُ
خُفِّضْ أَسًى عَمَّا شَآكَ طِلَابُهُ ما كُلُّ شَائِمِ بَارِقٍ يُسْقَاهُ

وقال :

وكَيْفَ تُعَاطِى الرَّاحِ والرَّأْسُ مُخْلَسُ مَشِيبًا ،وشُرْبُ الرَّاحِ مِنْ بَعْدِ جَعْفَرِ[3]
قَنِعْتُ ، وجَانَبْتُ المَطَامِعَ لَابِسًا لِبَاسِ مُحِبٍّ للنَّزَاهَةِ مُؤْثِرِ
وأَيْأَسَنِى عِلْمِى بأَلا تَقَدُّمِى مُفِيدِى ، وَلَا مُزْرٍ بِحَظِّى تَأَخُّرِى[4]
ولَوْ فَاتَنِى المَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ بِسَعْيٍ لَأَدْرَكْتُ الذى لَمْ يُقَدَّرِ

وقال :

أَجِدَّكَ مَا تَنْفَكُّ تَشْكُو قَضِيَّةً تُرَدُّ إلى حُكمٍ مِنَ الدَّهْرِ جَائِرِ[5]
يَنَالُ الفَتَى مَا لَمْ يُؤَمِّلْ وربَّمَا أَتَاحَتْ لَهُ الأَقْدَارُ مَا لَمْ يُحَاذِرِ[6]

وهذا فى غاية الحسن والصحة والبراعة : وإنَّما أخذه والله أعلم — من قول أبى العَتَاهِيَة :

---

(١) ديوان البحترى ٤٢٤ وفى م « سيق العذر » .
(٢) ديوانه ٢٩٦ .
(٣) ديوانه ٢١٥ « تعاطى اللهو » .
(٤) فى الديوان « وآنسنى علمى » .
(٥) ديوانه ٣٥٠ ، ٢ / ٩٦ .
(٦) م « تحاذر » .

قَدْ يَسْلَمُ المَرءُ مما قَد يحاذرهُ وقَدْ يَصِيرُ إلى المَكْرُوهِ بالحَذرِ[1]

وأخذه أبو العتاهية من قول الاخر :

وَحَذِرْتُ مِنْ أَمْرٍ فَمَرَّ بِجَانِبِى مُتَنَكِّبًا ، ولُقِيتُ مَا لَمْ أَحْذَرِ

* * *

وقال البحترى :

إنْ تُجَرِّبْ بَنِى الزَّمَانِ تُجِدْهُمْ إخْوَةً فيهِ للشَّفَارِ الكَلِيلَهْ[2]

والفَتَى كَادِحٌ لِفَعْلَةِ دَهْرٍ يَرْتَضِيها ، أَوْ عِيشَةٍ مَمْلُولهْ[3]

خَائِفٌ آمِلٌ لِصَرْفِ اللَّيَالِى واللَّيَالِى مَخُوفَةٌ مأْمُولَه

رَاحَ أَهْلُ الآدابِ فيها قَلِيلًا وحُظُوظُ الأَقْسَام فيها قَلِيلَهْ[4]

فَعَلَيْكَ الرِّضَا بِمَا رَضِيَتْهُ لَكَ هَذِى المَطالِبُ المَجْفُولَهْ[5]

لن تَنَالَ المُزْوَرَّ عَنْكَ بِتَدْبِيـ ـرٍ ، وَلَنْ تَصْعَدَ السَّمَاءَ بِحيلَهْ[6]

وإذَا مَا اعْتَبَرْتَ ظَاهِرَ حَالِى كَانَ أَمْرًا مِنَ الأُمُورِ الجَلِيلَهْ[7]

كَمْ تَكَرَّهْتُ غِبَّ أَمْرٍ فَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ فيهِ عِنْدِى جَمِيلَهْ[8]

لَيْسَ إلَّا فَضْلُ العَزِيمَةِ تُمْضِيـ ـهَا ، وإلَّا المَطِيَّةُ المَرحُولَهْ

وهذا كلام يجرى من رقته وحسنه .

---

(١) ديوان أبى العتاهية ١١٥ .

(٢) ديوان البحترى ٤٧٥ .

(٣) م « لغفلة » .

(٤) م « فيها قايلا » .

(٥) فى الديوان : « المطالب المجهولة » .

(٦) م « ينال » والديوان « المزوى » .

(٧) فى الديوان « كان خطباً من الخطوب » .

(٨) م « جليله » .

قوله : «فَعَلَيْكَ الرِّضَا» مدح للقناعة ، ولم يحث على القعود عن المطالب ، وإنما أراد عليك الرضا بما رَضِيَتْهُ لك مَطالِبُكَ ، هذه المطالب التى أنت بسببلها ، ولن تقدر على نيل ما ازْورَّ عنك ولذلك قال :

ليس إلا فضل العزيمة تمضيـ ـها ، وإلا المطيَّةُ المَرْحُولَهْ

وعلى أنه قال :

كَمْ تَكَرَّهْتُ غِبَّ أَمْرٍ فَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ فيه عِنْدِى جَمِيلَهْ

يجوز أن يكون أراد غب أَمْرٍ مِنْ تَجَشُّمِ الأَسْفَار ، وبُعْدِ المطالب ، فأحمدت عاقبته فحسن أن يقول : «ليس إلا فَضْلُ العزيمة» .

وأبو تمام صرح بذكر القُعُود عن الطلب بقوله :

الرِّزْقَ لا تَكْمَدْ عَلَيْهِ فإنهُ يَأْتِى ولَم تَبْعَث إليه رُسُولا

فكان ذكره للناقة والرحيل عليها مُنَاقَضَةً ظاهرةً قبيحةً فى أبيات متصل بعضها ببعض .

* * *

وقال البحترى :

تَطْلُبُ الأَكْثَرَ فى الدُّنْيَا وَقَدْ تَبْلُغُ الحَاجَةَ فيها بالأَقَلْ[1]

وقال :

أَسِيفٌ إِذَا أَسْفَفْتُ أَدْنُو لِمَطْمَعٍ خَفٍ ، وأُرَانِى مُثْرِيًا يَوْمَ أَقْنَعُ[2]

إِذَا شِئْتَ حَازَ الحَظَّ دُونَكَ وَاهِنٌ ونَازَعَكَ الأَقْسَامَ عَبْدٌ مُجَدَّعُ

---

(١) ديوان البحترى ٣٣٢ «نطلب . . . نبلغ» .

(٢) ديوانه ٣٠٥ ، ١٢٦٨/٢ دار المعارف «أسف إذا . . حين أقنع» .

أَجِدَّكَ مَا المَكْرُوهُ إلَّا ارتقَابُهُ وأَبْرَحُ مِمَّا حَل مَا يُتَوَقَّعُ
وقَدْ تَتَنَاهَى الأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِهَا شِبَاعًا، وتَغْشَى صَيْدَهَا وهْى جُوَّعُ[1]

قوله : «أَسِيف إذا أَسْفَفْتُ» . يقال : أَسَاف الرَّجل يُسيف : إذا ذَهَبَ مالُه .

يقول : إنه[2] يفتقر إذا دنا لمطمع ، ويستغنى إذا قنع .

وقوله : «وقد تَتَنَاهَى الأُسْدُ مِنْ دُونِ صَيْدِها شِبَاعًا» . يمدح القناعة ، وأن مِنْ سبيل الإنسان إذا وَجَدَ البُلْغَةَ اكتفى إلى أن يحتاج .

وقال :

حُلِّى سُعَادُ غُرُوضَ العِيسِ أَوْ سِيرِى وأَنْجِدِى فى ٱلْتِمَاسِ الحَظِّ أَوْغُورِى[3]
كلُّ الذى نَتَرَجَّاهُ ونَأْمُلُهُ مُضَمَّنٌ فى ضَرُورَاتِ المَقَادِيرِ
فَمَا يُقَرِّب تَقْدِيمِى شَوَاسِعَها ولا يُبَاعِدُ مَا أَدْنَيْنَ تَأْخِيرِى
تَغْدُو الكِلَابُ ولا فَضْلٌ يُعَدُّ لَهَا سِوَى الذى بَانَ مِنْ نَقْصِ الخَنَازِيرِ

* * *

وقال أبو تمام :

مَا يَحْسِمُ ٱلْعَقْلُ والدنيا تُسَاسُ بِهِ مَا يَحْسِمُ الصَّبْرُ فى الأَحْدَاثِ والنُّوبِ[4]
الصَّبْرُ كَاسٍ وبَطْنُ الكَفِّ عَارِيَةٌ والعَقْلُ عَارٍ إذَا لم يُكْسَ بالنَّشَبِ
كَمْ ذُقْتُ فى الدَّهْرِ مِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسُرٍ وفى بَنِى الدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ ومِنْ ذَنَبِ

(١) م «ويشى» .
(٢) م «إنه لم يفتقر» .
(٣) ديوان البحترى ٢ / ١٠٢٦ .
(٤) ديوان أبى تمام ٤٧٠ وفى م «يساس لها» .

بِأَىٍّ وَخْدِ قِلاصٍ وَاجْتِنَابِ فَلًا إِدْرَاكُ رِزْقٍ إِذَا مَالَجَّ فى الهَرَبِ[1]

ذكر أنه لا يَحْسِم العقلُ ما يَحْسِم الصَّبْرُ . والصبر على شدّة الزمان وأحداثه لا يكاد يقع إلا بالعقل ، وكل الأخلاق الشريفة فبالعقل تكون .

وقوله : « الصَّبْرُ كاسٍ وبَطْنُ الكَفِّ عَارِيَةٌ » — من حماقاته فى الطباق يريد أن الصبر مجانِبٌ لخلو اليد ، وأنا ضد الفقر والعُدْمِ ؛ لأن الفقر والعُدْم لا يكون معهما صبر ،[2] فجعل كاسياً من أجل ذكر بطن الكف بالعرى ، ثم جعل العقل أيضًا عاريًا إذا لم يكن مَكْسُوًّا بالنَّشَبِ ، وكسوة الصبر والعقل استعارة تتجاوز كُلَّ فحش.

وأعجب من هذا ذوقه الرأس والذنب فى بنى الدهر . وما علمنا أحدًا ذاق ذنب غيره ولا رأسه[3].

وأراد بالذَّوْقِ الاخْتِبَار ، واستعمله فى أقبح موضع وأشنعه .

ولا خفاء بفضل البحترى فى هذا الباب على أبى تمام .

---

(١) فى الديوان « إذا ما كان فى الهرب » .

(٢) لقد ضل الآمدى عن الصواب فى تأويل البيت ، ولم يرد أبو تمام أن الصبر مجانب لخلو اليد وأنه ضد الفقر والعدم فلا يكون معهما ؛ بل أراد أن الصبر نافع فى حالة الفقر وساتر لصاحبه . وآية ذلك أنه قال فى البيت السابق : إن الصبر يحسم فى أحداث الزمان ونوبه ما لا يحسم العقل الذى تساس به الدنيا .

(٣) لم يذهب أبو تمام إلى هذا المعنى السخيف الذى ذهب إليه الآمدى ؛ وإنما ذهب إلى ما تنطق به ألفاظ بيته : من أنه ذاق من حلو العيش ومره ما ذاق ؛ واختبر بنى الزمان طرا ، الرؤساء منهم وغير الرؤساء ، وهم الذين عبر عنهم بالأذناب . ولم يخرج أبو تمام فى تعبيره هذا عن سنن العرب فى كلامها ، فهم يضعون عبارات طرق العلم فى موضع العلم . ويقولون : ذقت الشىء بمعنى علمته وخبرته . وشممت رائحة الفضل من فلان : أى علمته ، ووزنت بنى فلان فأحليت ما ذقت من نجدتهم . أى ما بلوته واختبرته. ويقول : ذقت القوس أى نزعت فيها لأختبر لينها من شدتها ، كما قال الشماخ .

فذاق فأعطته من اللين جانباً كنى ولها أن يفرق النبل حاجز

وقال ابن مقبل :

يهززن للمشى أوصالا منعمة هز الشمال ضحى عيدان يبرينا
أو كاهتزاز رديني تذاوقه أيدى التجار فزادوا متنه لينا

ويقول بشار :

* إذا كان ذواقا أخوك من الهوى *

ذم ذوى الغنى على البخل، وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل وتحامله على أهل الفضل والعقل

قال أبو تمام :

مَضَى الأَمْلَاكُ وانْقَرَضُوا ، وأَمْسَى سُرَاةُ مُلُوكِنَا وَهُمُ تِجارُ[1]
وقوفًا فى ظِلَالِ الذَّمِّ تُحْمَى دَرَاهِمُهم ولا يُحْمَى الذِّمَارُ[2]
فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَـاتُ الدَّهْـرِ عَنْهُ وأُلقِيَ عَنْ مَنَـاكِبِهِ الدِّثَارُ
لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الأَرْزَاقِ فِينَا ولكنْ دَهْرُنَا هَذَا حِمَارُ

قوله : «وأُلقِيَ عَنْ مَنَاكِبِهِ الدِّثَارُ» – لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قصده فى شىء . وصدر البيت لائق بالمعنى فلو كان أتبعه بما يكون فى معناه بأن يقول : فلو ذهبت سنات الدهر عنه ، واستيقظ من رقدته ، أو انتبه من نومته ، أو انكشف الغطاءُ عن وجهه – لكان المعنى يمضى مستقيمًا . وقد ذكرته فيما مضى من أغاليطه مشروحًا[3].

وقال : – وهو من إحسانه المشهور – :

سَأُوطِئُ أَهْلَ العَسْكَرِ اليَوْمَ عَسْكَرًا من الذنب مَحَّاءً لِتِلْكَ المَعَالِمِ[4]
وَمَالِيَ مِنْ ذَنْبٍ إلى الدَّهْرِ خِلْتُهُ سِوَى أَمَلِي إِيَّاكُمُ لِلْعَظَائِمِ[5]
وإِنِّى مَا حُورِفْتُ فى طَلَبِ الغِنَى ولَكِنَّكُمْ حُوْرِفْتُمُ فى المَكَارِمِ

(١) ديوان البحترى ١٤١ وشرح التبريزى ٢/١٥٤ «وأمست» .
(٢) فيهما «وقوف . . . . دراهمها» .
(٣) راجع الجزء الأول ص ٢٢٣ .
(٤) ديوان أبى تمام ٢٩٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢١٩ ويروى : «من الذل» و «من الذم» .
(٥) فى الديوان وشرحه «إلى الرزق» .

ومن جيد معانيه فى هذا النحو قوله :

إنْ شِئْتَ أَنْ يَسْوَدَّ ظَنُّكَ كُلُّهُ فَأَجِلْهُ فى هذا السَّوَادِ الأَعْظَمِ[١]

وقال :

يَنَالُ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وهْوَ جَاهِلٌ وَيُكْدِى الفَتَى فى دَهْرِهِ وهْوَ عَالِمُ[٢]

ولَوْ كَانَت الأَقْسَامُ تَجْرِى عَلَى الحِجَا هَلَكْنَ إذنْ مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ[٣]

وهذا معنى ما على صحته وحسنه مِنْ مَزِيد .

وقال :

وما القَفْرُ بالبِيدِ القَوَاءِ بل التى نَبَتْ بِى وفِيهَا سَاكِنُوهَاهى القَفْرُ[٤]

ومَنْ قَامَرَ الأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا فَأَحْجِ بِها أَنْ تَنْجَلِى وَلَهَا القَمْرُ[٥]

وهذا أيضًا جيد بالغ ، ومن إحسانه المشهور . ثم وصله بأن قال :

فإنْ كَانَ ذَنْبِى أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِى أَسَاءَ فَفِى سُوءِ القَضَاءِ لىَ العُذرُ

قَضَاءُ الذى مَا زَالَ فى يَدِهِ الغِنَى ثَنَى غَرْبَ آمَالِى وفى يَدِى الفَقْرُ

رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى إذَا كَانَ مُسْخِطِى من الأَمْرِ مَا فِيه رِضَا مَنْ لَهُ الأَمْرُ

وأَشْجَيْتُ آمَالِى بِصَبْرٍ حَلَوْنَ لِى عَوَاقِبُهُ ، والصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ صَبْرُ[٦]

---

(١) ديوان أبى تمام ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٤٩ .

(٢) ديوانه ٢٨٦ وشرح التبريزى ٣ / ١٧٨ .

(٣) ويروى « ولو كانت الأرزاق » .

(٤) ديوانه ٤٧٥ « بالبيد القفار » .

(٥) م « به أن » .

(٦) فى الديوان « فأشجيت أياما » .

قوله : «فإنْ كَانَ ذَنْبِى أَنَّ أَحْسَنَ مَطْلَبِى أَسَاءَ». يريد شخوصه إلى مصر ؛ لأنها كانت عنده أحسن مطالبه فأخفق فيها ، فذمّها بأن قال :

وما القَفْرُ بالبِيدِ القَوَاء بَلِ التى نَبَتْ بِى وفيها سَاكِنُوهَا هِى القَفْرُ

وقوله : «رَضِيتُ وَهَلْ أَرْضَى» – من أغاليطه وإحالاته فى المعانى. وإنما كان ينبغى أن يقول : «رضيتُ وكيف لا أَرْضى». وقوم يحتجون بأنه[1] قال : رضيت وقد أرضى. على ما فسر به قول الله عز وجل : «هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ» بأن قالوا معناه : قد أتى على الإنسان.

وقد ذهب إلى هذا قوم فى «قَد» إذا وليت الفعل الماضى ، أما إذا وليت المستقبل فإنها تكون بمعنى «ربما» وتخرج عن هذا التأويل.

وأكثر أهل العربية ، وجميع أهل اللغة يقولون : المعنى : أَلَمْ يأت على الإنسان. بمعنى التقرير والتوبيخ. ويدفعون أن تكون «هل» بمعنى «قد» ؛ لأن ذلك لم يأتِ فى كلام العرب.

وقد بيَّنت هذا فى «الجزء» الذى جمعت فيه أغاليط أبى تمام من هذا الكتاب[2].

وقال :

وحَادِثَاتٌ أَعاجيبٌ خَسَا وَزَكَا ما الدَّهْرُ فى فِعْلِهَا إلَّا أَبُو العَجَبِ[3]

يَمْلِكْنَ قَوْدَ الكُمَاةِ المُعْلمينَ لَهَا ويَسْتَقِدْنَ لِفُرْسَانٍ على القَصَبِ[4]

الخَسَا : الفَرْد ، والزَّكَا : الزَّوْج. وفُرْسَانُ القصب : يعنى الصبيان.

---

(١) م «بأن قال».

(٢) راجع الجزء الأول ص ٢٠١ . ٢٠٥ .

(٣) ديوان أبى تمام ٤٧٠ «فى فعله».

(٤) فى الديوان «يغلبن قوم . . بها».

وهذه ألفاظ فى غاية الخُلُوقَة والسَّخَافَة . ولو قال : ويستقدن لأهل الجبن والرعب ، أو الرهب ـ كان أحسن وتعمَّل[١] :

وقال فيها :

فى كلِّ يَوْمٍ صَوَاقِيرِى مُفَلَّلَةٌ تَسْتَنْبِطُ الصُّفْرَ لِى مِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ[٢]
مَا كُنْتُ كالسَّائِلِ الأَيَّامَ مُجْتَهِدًا عَنْ لَيْلَةِ القَدْرِ فى شَعْبَانَ أَوْ رَجَبِ

أى ما التمست إلا من حيث يجب الالتماس ، ولكنى خِبْت .

بَلْ سَافِعٌ بِنَوَاصِى الأَمْرِ مُشْتَمِلٌ عَلَى قَوَاصِيهِ فى بَدْئِى وفى عَقِبِى[٣]
بِغُرْبَةٍ كاغْتِرابِ الْجُودِ إنْ بَرَقَتْ بِأَوْبَةٍ وَدَقَتْ بالخُلف والكَذِبِ
إذا عَمَدْتُ لِشَأْوٍ خِلْتُ أَنِّى قَدْ أَدْرَكْتُهُ ـ أَدْرَكَتْنِى حِرفَةُ العَرَبِ[٤]

قوله : « سَافِعٌ بِنَوَاصِى الأَمْرِ » ـ من قوله : جلّ اسمه : « لَنَسْفَعًا بالنَّاصِيَةِ » والسَّفْعُ بالشىء هو أن يؤْخذ ويُجْذَبَ جذبًا فيه عنف .

وكان ينبغى أن يقول : بنواصى الحزم أو العزم . فأما الأمر فإنه[٥] . . .

وقوله :

بِغُرْبَةٍ كاغْتِرَابِ الجُودِ إنْ بَرَقَتْ بِأَوْبَةٍ وَدَقَتْ بالخُلْفِ والكَذِبِ

فشبه غيابه بغيبة[٦] الجود الذى يقال يقدم ولا يقدم ، يؤكد بهذا عدم الجود ، وأنه كلَّما طمِعَ فيه من أحد كان بعيدًا كالغائب الذى يقال : يقدم ثم لا يقدم .

---

(١) م « ويعمل » .

(٢) ديوان أبى تمام ٤٧١ « يوم أظافيرى . . تستنبط الصبر » والصواقير: المعاول . والصفر : النحاس .

(٣) م « شافع » والديوان « فى بدء وفى عقب » .

(٤) فى الديوان : « إذا عنيت لشأو قلت . . حرفة الأدب » .

(٥) كذا بالأصل .

(٦) م « عياته بعيبة » .

وَدَقَتْ : من الوَدْقِ ، وهو قَطْرُ المطر .

يقول هذا وهو قد قدم[١] من غيباته إلا أنه جعل نفسه كمن لم يقدم ؛ لأنه قدم بالخيبة ؛ فلذلك قال بعد هذا :

ما آبَ مَنْ آبَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ولَمْ يَغِبْ طَالِبٌ لِلنُّجْحِ لَمْ يَخِبِ

وهذا تعسف ، والخَرْسُ أحسنُ منه .

وقوله : « إنْ بَرَقَتْ بأَوْبَةٍ » يعنى الغيبة . واستعارة البرق لا تحسن إلا باستعارة[٢] السحاب معه. وكان الجيد أن يقول : بَرَقَتْ سحابُها بأَوْبَة ، لو استقام له .

وقوله : « أَدْرَكَتْنى حِرْفَةُ العَرَبِ » ـ معنى ما قاله غيره ، ولا جعل أحدٌ العَرَب مُحَارَفِينَ سواه . ودليل [عدم] حرفتهم ما هو إلا أنَّهم قهروا الأُممَ حتى صار المُلْكُ فيهم ، وهم على تلك العِزَّة الجاهلية إلى هذا الوقت .

وما زال الناس ينكرون هذا المعنى عليه ويعيبونه . ولو كان قال : « حرفة الأَدب » كان أولى بالصواب ، وبما يستعمله الناس ، ولأنه أديب غير مدفوع ، وليس فى القصيدة أيضًا [ذكر] للأَدب.

وقد رواه قوم « الأَدب » إنكارًا لذكر العرب هاهنا . وغَيْرُه فى عِدَّةٍ من النسخِ القديمة. والذى فى نسخة « أبى سعيد السكرى » ، و « أبى العلاء ، محمد ابن العلاء » وغيرهما : « العرب » .

وإنما ذاك لشدة عشقه بالعربية ، وأن يقال طائى .

---

(١) م « قد تقدم » .

(٢) م « بالاستعارة » .

وقد أنكره عليه ابنُ عمَّار وغيره . وهذا دليل على أنه ما قال إلا «حرفة العرب» .

* * *

وقال البحترى :

أَوْجَلَتْنِى بَعْدَ أَمْنٍ غِرَّتِى ... وَاغْتِرَارُ الأَمْنِ يَسْتَدْعِى الوَجَلْ[1]

لَمْ أَوَهَّمْ نعْمَتِى تَغْدِرُ بِى ... غَدْرَةَ الظِّلِّ سجَا ثُمَّ ٱنْتَقَلْ

زَمَنٌ تَلْعَبُ بِى أَحْدَاثُهُ ... لَعِبَ النَّكْبَاءِ بالرَّمْحِ الخَطِلْ[2]

وأَرى العُدْمَ - فَلَا تَحْفَلْ بِهِ ... - عُقْبَةً تُقْضَى ، وكَلْمًا يَنْدَمِلْ

أَكْبَرَتْ نَفْسى - وقِدْمًا أَكْبَرَتْ ... أَنْ تُلَقَّى النَّيْلَ مِنْ كفِّ الأَشَلْ[3]

ومِنَ المَعْرُوفِ مُرٌّ مَقِرٌ ... يَلْفِظُ الطَّاعِمُ مِنْهُ مَا أَكَلْ[4]

نَطْلُبُ الأَكْثَرَ فى الدُّنيا وَقَدْ ... نَبْلُغُ الحاجةَ فيها بالأَقَلْ[5]

وهذا من إحسان أبى عبادة المتداول .

وقال :

تَغَاضَى رِجَالٌ عَنِ المَكْرُمَاتِ ... وقَدْ مُثِّلَتْ نُصْبَ أَعْيَانِهَا[6]

ولم تَلْتَفِت لِوُجُوبِ الحُقُوقِ ... وَوَاجِبُهَا خَلْفَ آذَانِهَا

فَتَحْتُ يَدِى ثَانِىَ العِطْفِ عَنْ ... كَذُوبِ المَوَدَّةِ خَوَّانِهَا

وقَدْ عَلِمَتْ خَلَّتَى أَنَّنِى ... أُفَارِقُهَا عِنْدَ هِجْرَانِهَا

---

(١) ديوان البحترى ٣٣٢ ، ١٧١٦ .

(٢) الخطل : السريع . وانظر اللسان ١٣ / ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٣) فى الديوان : «وكرها أكبرت» .

(٤) م «منه وأكل» !

(٥) سبق فى ص ٢٥٠ .

(٦) ديوان البحترى ٥٩٩ «تعامى رجال» .

رفع المسهم

وقال :

وعَيَّرْتَنِي سِجَالَ الْعُدْمِ جَاهِلَةً ... والنَّبْعُ عُرْيَان مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرُ[١]

وَمَا الفَقِيرُ الذى عَيَّرْتَ آونَةً ... بلِ الزَّمانُ إلى الأَحْرَارِ يَفْتَقِرُ[٢]

عزَّى عَنِ الحَظِّ أَنَّ العَجْزَ يُدْرِكُهُ ... وَهَوَّنَ العُسْرَ عِلْمِي فى مَنِ اليُسُرُ

لَمْ تَبْقَ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيةٌ ... يَنَالُهَا الوَهْمُ إلَّا هذه الصُّورُ[٣]

جَهْلٌ ، وبخْلٌ وحَسْبُ المَجْدِ وَاحِدةٌ ... مِنْ تَيْنِ حَتَّى يُعَفَّى خَلْفَهُ الأَثَرُ[٤]

إذَا مَحاسِنِيَ الَّلاتِي أُدِلُّ بِهَا ... كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ

عَلَيَّ نَحْتَ القَوافِي مِنْ مَعَادِنِهَا ... وَمَا عَلَيَّ إذَا لَمْ تَفْهَمِ البَقَرُ[٥]

ذكر « على بن يَحْيى المُنجِّم » عن شيوخه أن هذا البيت للمخَيَّم[٦] الرَّاسِبِى ، أحد الشعراء فى دولة الرشيد ، وكانَ صحب محمد مَنْصُور بن زِياد فكسب معه مالا عظيمًا ، ثم صحب محمد بنِ يحيى بن خالد البَرْمكِى بعد موت ابن منصور[٧] فلم يحمده فهجاه .

وأَخذُ بيت بأسره قبيح لأَبى عبادة ، ومثله لا يضطر إلى هذا .

وقد كان « على بن يحيى » انحرف عن[٨] البحترى لأَن البحترى هجاه بأمر المتوكل بأبيات ليس مثلها يضر ، ولكنه ذكر صورته فقال :

---

(١) ديوان البحترى ٦٧٣ ، ٢ / ٩٥٤ دار المعارف .

(٢) فى الديوان « مفتقر » .

(٣) فى الديوان : « ينالها الفهم » .

(٤) وفيه « وحسب المرء » .

(٥) وفيه : « من مقاطعها وما على لهم أن تفهم » والبيت مع سابقه فى أخبار أبى تمام ٥٠ — ٥١

(٦) م « للمختم » .

(٧) م « ابن منثور » !

(٨) م « أعرف من البحترى » !

كُلُّ ، أَخْلَاق عليّ تَرْتَضِيها وتُذْمُّهْ[1]
هُو قِرْدٌ حِين يبْدُو غير أَنَّا لَا نَكُمُّهْ
مُقْلَتَاهُ وحِجاجا هُ وشِدْقَاهُ وخَطْمُهْ

فضحك المتوكل حتى استلقى. وبلغ على بن يحيى فعاب[2] هذا على البحترى لما حدث بينهما من التباعد.

إلا أنى لم أرهم ينكرون استعارة البيت الذى يجرى مجرى المثل إذا جاء موضعه. إلا أن ذلك يكون فى شوارد الأمثال التى لا يكاد يعرف قائلوها.

وقال :

أَضِيعُ فى مَعْشَرٍ ، وكَمْ بَلَدٍ يُعَدُّ عُوْدُ الكِبَاءِ مِنْ حطَبِهْ[3]
لن يَنْصُرَ المَجْدَ حقَّ نُصْرَتِهِ إِلَّا المَكِينُ المكانِ مِنْ رُتَبِهْ[4]
يُخْدَعُ عَنْ عرْضِهِ البخيلُ وَلَا يُخْدَعُ وهْو الغَنِىُّ عَنْ نَشَبِهْ[5]
أَوْثَقُ مَنْ يُصْطَفَى عُرَاهُ وإِنْ حَلَّ بَعِيدًا مَنْ حَلَّ فى حَسَبِهْ[6]
لا يَصْرِمُ المُحْدَثُ الكَهَامُ ولَوْ أَخْلَصَهُ الهَالِكِىُّ مِنْ جَرَبِهْ[7]
نَنْسَى أَيَادِى الزَّمَانِ فِينَا فَمَا نَذْكُرُ مِنْ دهْرِنَا سِوَى نُوَبِهْ

(١) ديوان البحترى ٤ / ٢١٠٦ : « نجتويها ونذمه » .
(٢) م « يحى دمعآ هذا » .
(٣) ديوانه ٣٠٢ ، ١ / ٢٤٢ دار المعارف .
(٤) م « لم ينصر المجد حين » .
(٥) م « الغنى » .
(٦) فى الديوان « بعيداً واراك فى حسبه » ، « بعيداً شرواك فى حسبه » .
(٧) « من حربه » .
وفى اللسان ١٢ / ٣٩٨ « والهالكى : الحداد ، وقيل . الصيقل . قال ابن الكلبى : أول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، وكان حداداً نسب إليه الحداد ، فقيل : الهالكى » .

رفع المسيهما

وقال :

أَيذْهَبُ هَذَا الدَّهْرُ لَمْ يَرَ مَوْضِعِى ... ولَمْ يَدْرِ مَا مِقْدَارُ حَلِّى ولَا عَقْدِى[١]

ويَكْسُدُ مِثْلِى وهْوَ تَاجِرُ سُؤْدَدٍ ... يَبِيعُ ثَمِينَاتِ المكَارِمِ والحَمْدِ[٢]

سوائِرِ شِعْرُ جَامِعٍ بَدَدَ العُلَىٰ ... تَعَلَّقْنَ مَنْ قَبْلِى ، وأَتْعَبْنَ مَنْ بعْدِى

يُقَدِّرُ فيها صانِعٌ مُتَعَمِّلٌ ... لأَحْكامِها تَقْدِير دَاودَ فى السَّرْدِ[٣]

خيلَىَّ لَوْ فى المَرْخِ أَقْدَحُ إِذْ أَبَى ... رِجَالٌ مُوَاتَاتِى ، إِذَنْ لَخَبَا زَنْدِى[٤]

وَمَا عارَضَتْنِى كُدْيَةٌ دُونَ مَدْحِهِمْ ... فَكَيْف أَرَنِى دُونَ مَعْروفِهِمُ أُكْدِى

أَأَضْرِبُ أَكْبَاد المَطَايَا إِليهِمُ ... مُطَالَبَةً مِنِّى وحَاجَاتُهُمْ عِنْدِى ؟

وهذا صِدْقُ أَبى عبادة عن نفسِه ، وما كان له بد من أن ينفِث ، وما قال قولا هو أصدق من هذا .

وقال :

ومَا جَهِلْتَ فَلَا تَجْهَلْ مُحَاجَزَتِى ... لِصَاحِبِ البابِ يَرْمِى عَنْهُ صَاحِبُهُ[٥]

الأَرْضُ أَوْسَعُ مِنْ دَارٍ أُلِظُّ بِها ... والنَاسُ أَكْثَرُ مِنْ خِلٍّ أُحَارِبُهُ[٦]

أُعَاتِبُ المَرْءَ فيما جاءَ واحِدَةً ... ثم السلامُ علَيْهِ لا أُعاتِبُهُ

---

(١) ديوان البحترى ١٨٢ ، ٢ / ٧٤٧ دار المعارف .

(٢) فى الديوان « والمجد » .

(٣) سقط هذا البيت من طبعة بيروت .

(٤) المرخ : شجر كثير الورى سريعه ، كما فى اللسان ٢٢/٣ وفى م « ذا الورى » .

(٥) ديوانه ٧٨٧ ، ١ / ٢٢٦ .

(٦) فى الديوان « دار ألط بها . . . أكثر . . أجاذبه » . وألظ بها : أقيم ، كما فى اللسان ٩ / ٣٤٠ .

ولَوْ أَخَفْتُ لَئِيمَ القَوْمِ جنَّبنِي ... أَذَاتَهُ ، وصَدِيقُ الكَلْبِ ضَارِبُهُ
وَلَنْ تُعين امْرأً يَوْمًا وَسَائِلُهُ ... ما لَمْ تُعِنْهُ علَى حُرٍّ ضَرَائِبُهُ[1]

وقال :

لَنَا فى كُلِّ يوْمٍ أَصْدِقَاءُ ... تَعُودُ عِدًا ، وحالَاتٌ تَحُولُ[2]
وقَدْ تَعْفُو الظُّنُونُ بِمَنْ يُرجَّى ... فَتُخْلِفُ مِثْل ما تَعْفُو الطُّلُولُ
ومَا فُقِد الجَمِيلُ لِقُرْبِ عَهْدٍ ... فَنَسْأَلَ عَنْهُ ، بَلْ نُسِى الجَمِيلُ
وَيَلْؤُمُ سائِلُ البُخَلَاءِ حِرْصًا ... وإِسْفَافًا كَمَا لَؤُم البَخِيلُ[3]

وقال :

لَمْ أَلْقَ مَقْدُورًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ ... فى الحَظِّ إِمَّا ناقِصًا أَوْ زَائِدَا[4]
وَعجِبْتُ لِلْمَحْدُودِ يُحْرَمُ نَاصِبًا ... كَلِفًا ، ولِلْمجْدُودِ يَغْنَمُ قَاعِدَا
وتَفَاوُتُ الأَرْزَاقِ فِيمَا بَيْنَهُمُ ... لَا يَأْتَلِينَ نَوَازِلًا وَصَوَاعِدَا
ما خَطبُ مَنْ حُرِمَ الإِرادةَ وادِعًا ... خَطْبُ الذى حُرِمَ الإِرَادَةَ جَاهِدَا[5]

وهذا كله فى غاية الجودة والحسن والصحة والبراعة والحلاوة .

* * *

فأَقول فى الموازنة بينهما : إنهما[6] أحسنا جميعاً فى هذا الباب وأَجادا ، وأَجعلهما متكافئين مع ما فيه لأبى تمام من الإساءة .

---

(١) فى الديوان « إن لم تعنه » هنا وقد سها الناسخ فأعاد هنا كتابة تعليق الآمدى على الأبيات السابقة .

(٢) ديوانه ٣٠١ « فى كل دهر » .

(٣) م « وإشفاقاً » .

(٤) ديوانه ٦٤٦ ، ٢ / ٨٢١ دار المعارف .

(٥) م « خطت الذى » !

(٦) م « أيهما » .

ما قالاه فى طلب الرزق والنهوض إليه

قال أبو تمام :

سَيَبْتَعِثُ الرِّكَابَ وَرَاكِبِيها فَتًى كالسَّيْفِ هَجْعَتُهُ غِرَارُ[1]
أَطَلَّ عَلَى كُلَى الآفاقِ حَتَّى كَأَنَّ الأَرْضَ فى عَيْنَيْهِ دَارُ[2]

غِرار : قليل . وهذا البيت حسن جدًّا ، ولو كان فى مدح خليفة ضبط الدنيا ، وأحسن سياستها ، ومراعاة كل ناحية منها ـ كان أحسن وأليق .

وإنما سرق المعنى من قول منصور النَّمَرى يمدح الرشيد :

وعَيْنٌ مُحِيطٌ بالبَرِيَّةِ طَرْفُها سَوَاء عَلَيْهِ قربها وبعيدها

وقال :

سَلِي هلْ عَمَرْتُ القَفْرَ وهْوَ سَبَاسِبٌ وغَادَرْتُ رَبْعِى مِنْ رِكَابِى سَبَاسِبَا[3]
تَغَرَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ المَغَارِبَا[4]

---

(١) ديوان أبى تمام ١٤١ وفى شرح التبريزى ٢ / ١٥٥ عن المعرى « هذا معنى لطيف ، وهو نحو من التورية ، لأنه ذكر السيف ، ثم ذكر الغرار ، وهو يريد به النوم القليل ، والسيف له غرار . فهذا المعنى الذى قصده الطائى » .

(٢) م « على طلى » وقال المعرى ـ فيما نقل التبريزى ـ : « كلى : جمع كلية ، واستعارها للآفاق ؛ لأن من اطلع على كلية الشىء فقد خبره ، إذ كانت الكلية لا تكون إلا فى الباطن » .

(٣) ديوانه ١٧ وشرح التبريزى ١٤٧/١ « والركاب : الإبل المركوبة . والسباسب : القفر من الأرض . يقول : غمرت القفر بسفرى ، وصار منزل كالقفر لتركى له » . وفى م « وهى » .

(٤) فى التبريزى « وغربت » .

خُطُوبٌ إِذَا لَاقَيْتُهُنَّ رَدَدْنَنِي جَرِيحًا كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الكَتَائِبَا[1]
وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ لِلنَّوَائِبِ أَصْبَحَتْ خَلَائِقُهُ طُرًّا عَلَيْهِ نَوَائِبَا
وَقَدْ يَكْهَمُ السَّيْفُ المُسَمَّى مَنِيَّةً وَقَدْ يَرْجِعُ المَرْءُ المُظَفَّرُ خَائِبَا
فَآفَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ صَارِمًا وَآفَةُ ذَا أَنْ لَا يُصَادِفَ ضَارِبَا[2]

قوله : « فآفةُ ذَا أن لا يُصَادِفَ صَارماً » ـ ليس بالجيد ؛ لأن الشجاع المظفر قد يقطع السيف الكَهَامُ فى يده ، ألا ترى إلى قول البحترى :

وَمَا السَّيْفُ إلا بزُّ غَادٍ لِزِينَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ[3]

وكان الأجود له أن يقول : فآفة ذا أن لا يصادف مَغْنمًا ، أو مَضْرَبًا . يعنى المرء المظفر . وآفةُ ذَا أن لا يصادف ضَارِبًا . يعنى السيف ؛ لأنه قد جعل آفته فى أن صَارَ كَهَامًا (أى) أنه لم يجد ضاربًا يضرب به . ولم يذهب إلى نحو قول الفَرَزْدَق :

كَذَاكَ سُيُوفُ الهِنْدِ تَنْبو ظُبَاتُها وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ القَلَائِدِ[4]

لأن هذا معنى آخر .

* * *

وقال أبو تمام :

وَأُخْرَى لَحَتْنِي حِينَ لَمْ أُتْبِعِ الهوى قِيَادِي ، ولم يَنْقُضْ زَمَاعِيَ نَاقِضُ[5]
أَرَادَتْ بِأَنْ يَحْوِي الرَّغِيبَاتِ وَادِعٌ وَهَلْ يَفْرِسُ اللَّيْثُ الطُّلَى وهْوَ رَابِضُ

وهذا بيت الباب كله ، فإنه لا يمر فيه أجود منه ، ولا أليق ، ولا أحسن .

---

(١) ويروى : « لقيت كتائبا » .
(٢) راجع روايات البيت فى شرح التبريزى وهامشه ١ / ١٤٨ .
(٣) ديوانه ٥٢ وفى م « إلا ابن غاد » .
(٤) ديوانه ١٨٦ « و يقطعن أحياناً نياط » .
(٥) ديوانه ١٨٣ وشرح التبريزى ٢/٢٩٦ « لم أمنع الهوى » .

وعلى أنه معنى مأخوذ من مَثَلٍ للأسد : قيل له : لم أنت غليظ الرقبة ؟ فقال :لا ألزَمُ خِدْرِى وأتكل فى فريستى على غيرى .

وقد سمعت فيه شعرًا أيضًا منظومًا ، ولكن أبا تمام أحسن العبارة عن المعنى جدًّا .

* * *

وقال :

إنَّ خَيْرًا [مِمَّا] رَأَيْتُ مِنَ الصَّفْـ ... ـحِ عن النَّائِبَاتِ والإغْمَاضِ :[1]

غُرْبَةٌ تَقْتَدِى بِغُرْبَةِ قَيْسِ بْـ ... ـنِ زُهَيْرٍ والحارِثِ بن مُضَاضِ

غَرَضَى نَكْبَتَينِ مَافَتَلَا رَأْ ... يًا فَخَافَا عَلَيْهِ نَكْثَ انْتِقَاضِ[2]

مَنْ أَبَنَّ الْبُيُوتَ أَصْبَحَ فى ثَوْ ... بٍ مِنَ العَيْشِ لَيْسَ بالفَضْفَاضِ

والْفَتَى مَنْ تَعَرَّفَتْهُ اللَّيَالِى ... والفَيَافِى كالحَيَّةِ النَّضْنَاضِ[3]

صَلَتَانٌ أَعْدَاؤُهُ حَيْثُ حَلُّوا ... فى حَدِيثٍ مِنْ ذِكْرِهِ مُسْتَفَاضِ[4]

كُلَّ يَوْمٍ لَهُ بِصَرْفِ اللَّيَالِى ... فَتْكَةٌ مِثْلُ فَتْكَةِ البَرَّاضِ

أَبَنَّ البُيُوتَ : أقام بها ولَزِمَها . والفَضْفَاض : الواسع . والحيَّةُ النَّضْنَاضُ : هو الخفيف الكثير الحركة .

وقد عيب عليه قوله : « مُستَفَاض » ، وقالوا : إنما هو مستفيض ، وقيل : إنه أراد مستفاض فيه ، وليس ذلك بشىء[5] .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٨٧ وشرح التبريزى ٢ / ٣٠٩ .

(٢) و يروى « غرضاً » .

(٣) تعرفته الليالى : أخذت ما عليه من اللحم ، وهم يثنون على الهزال إذا كان فى طلب المجد والسمو و يذمون السمن . كما فى شرح التبريزى ٢ / ٣١١ .

(٤) فى التبريزى « من عزمه » وصلتان : ماض فى أمره .

(٥) نقل التبريزى عن المعرى : « وأهل اللغة يزعمون أن الصواب أن يقال : حديث مستفيض ، والقياس لا يمنع أن يقال : مستفاض ، وهو من فيض الماء ، فإذا قيل : مستفيض فمعناه منتشر ، وإذا قيل مستفاض فمعناه منشور » .

وقد قاله البحترى أيضًا فى قصيدته التى على هذا الوزن :

أَفْرَطَتْ لَوْثَةُ ابْنِ أَيُّوبَ والشَّا ئِعُ مِنْ ذِكْرِ أَفْنِهِ المُسْتَفَاضِ[1]

وقد نطق بها غير واحد من المتأخرين . وهى رديئة .

وذكرها «الطِّرماحُ» على غير هذا الوجه ، فقال يصف حمار وحش :

ويظل المَلِيءُ يُوفِى عَلَى القَرْ نِ عَذُوبًا كالحُرْضَةِ المُسْتَفَاضِ[2]

القرن : الجبل . عَذُوقًا : رافعًا رأسه لا يذوق شيئًا .

شبهه بالحُرْضَةِ ، وهو رجلٌ يجيءُ به أصحابُ الميسر ، رَذْلٌ من الرجال ساقط ، ويشدُّون عينَه ، ويدفعون إليه القِدَاحَ فيفيض بها لهم ، فقيل له : المُسْتَفَاض ؛ لأنه جعله مفيضًا . والإفاضة بالقداح هى أن يدفعها دفعة واحدة من الرَّبَابَة إلى قُدَّام ، فيخرج من مَخْرَجها الضيق قَدَحٌ واحد ، ويقوم الرقيب فيأخذه ، وينظر : فإن كان لا حظ له ردّه إلى الرَّبَابَة ، و [قال] للحُرْضَة : أَعِدْ الجَلْجَلَةَ والإفاضة ، وإن كان السهم من ذوات الحظوظ دفعه إلى صاحبه وقال له : اعتزل . فإن كان الفَذُّ أخذ نصيبًا واحدًا وهو عُشْرُ الجزور ، وإن كان غيره أخذ على قدر أنصبائه .

ولقيس بن زهير ، والحارث بن مُضَاض [فى] اغترابهما حديث ، وكذلك لِلْبَرَّاضِ فى فَتَكَتِه . وأنا أذكر جميع ذلك بعد الفراغ من [هذا][3] الباب بإذن الله .

* * *

(١) ديوان البحترى ٣٩٢ « من أفن رأيه » .

(٢) اللسان ٨ / ٤٠٤ والمعانى الكبير ٣ / ١١٤٩ والميسر والقداح ١٢٩ وجمهرة أشعار العرب ١٩١ « الملىء : القادر » وفى م « عطوفًا » .

(٣) م « الفراغ بابا من الباب » .

وقال أبو تمام :

أَعَاذِلَتَا : مَا أَخْشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا وأَخْشَنُ مِنْهُ فى المُلِمَّاتِ رَاكِبُهْ[١]
دَعِينِى وأَهْوَالَ الزَّمَانِ أُعَانِها فَأَهْوَالُهُ العُظْمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهْ[٢]
أَلَمْ تَعْلَمِى أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السُّرَى أَخُوالنُّجْحِ عِنْدَ النَّائِبَاتِ وصَاحِبُهْ؟![٣]
دَعِينِى عَلَى أَخْلَاقِىَ الصُّمِّ للَّتِى هِىَ الوَفْرُ ، أَوْ سِربٌ تُرِنُّ نَوَادِبُهْ[٤]
فإِنَّ الحُسَامَ الهُنْدَوَانِىَّ إِنَّمَا خُشُونَتُهُ مَالَمْ تُفَلَّلْ مَضَارِبُهْ
وقَلْقَلَ نَأْىٌ مِنْ خُرَاسَان جَأْشَهَا فَقُلْتُ اطْمَئِنِّى أَنْضرُ الرَّوْضُ عَازِبُهْ[٥]
ورَكْبٍ كَأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِها ، واللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ
لِأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ ولَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

وحَسْبُك بهذا كلِّه جودةً وحسنًا .

وهذا البيت الأخير إنما أخذ معناه من قول الشاعر ، وأنشده فى الحماسة :

فكانَ عَلَى الفَتَى الإِقدامُ فيها ولَيْسَ عَلَيهِ مَا جَنَت المَنُونُ[٦]

---

(١) ديوان أبى تمام ٤٣ وشرح التبريزى ١ / ٢٢٤ .

(٢) أعانها : أقاسها .

(٣) فى شرح التبريزى : « الزماع : المضاء على الأمر . يقول : ألم تعلمى أن من باشر الأسفار وترك الخفض وابتذل نفسه — أنجح ونال الطلبة ؟ »

(٤) م « اخلاق الضمر التى » ويروى « الصمل » أى الشديدة : والوفر : المال . يقول : دعينى أرتحل . فإما أن أتمول و إما أن يقوم على سرب نساء يندبن .

(٥) يقول : « أحزنها بعدى إلى خرسان ، فقلت اسكنى فإن الروض أنضره ما بعد ولم يكن قريباً فينال » .

(٦) سبق تخريجه فى الجزء الأول ص ٢١ .

وقال [أبو تمام] وسبيله أن يقدم فى أول الباب ؛ لأنه من إحسانه المشهور :

وَلِكنَّنِى لَمْ أَحْوِ وَفْرًا مُجمَّعًا ... فَفُزْتُ بِهِ إلَّا بِشَمْلٍ مُبدّدِ[1]
ولَمْ تُعْطِنِى الأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا ... أَلَذُّ بِهِ إلَّا بنَوْمٍ مُشَرَّدِ
وطُولُ مَقَامِ المرءِ فى الحىِّ مُخْلِقٌ ... لِدِيبَاجَتَيْهِ . فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإنِّى رأيتُ الشمس زِيدَتْ مَلَاحَةً ... إلى النَّاسِ أَنْ لَيْسَت عَلَيهِمْ بِسَرْمدِ

قوله : «لَمْ أَحْوِ وَفْرًا مُجَمَّعًا ... إلا بشمل مبدد » يريد أنه لم يَحْوِ ذلك إلا فى الغُرْبَةِ مع مفارقة وطنه وأحبابه ، وأنه لم ينم نوماً ساكنًا إلا بعد نوم مشرّد فى الأسفار . وهذا مبنى على قول عُرْوَةَ بن الوَرْد :

* ولم تدر أنّى لِلمقام أطوّف *[2]

وقوله : «فإنى رأيت الشمس » . . . مَسْرُوقٌ من قول الكُمَيْت :

* ولَوْ لَمْ تَغِبْ شَمْسُ النَّهارِ لَمُلَّتِ *

وقال أبو تمام :

هُنَّ البَجَارِىُّ [أ] يا بُجَيْرُ ... أَهْدَى لَهَا الأَبْؤُسَ الغُوَيْرُ[3]
يَوْمُ مَقَامٍ عَلَى وفَازٍ ... وسائِرَ الدَّهْرِ فيه سَيْرُ
فى ثُبَةٍ إن سِرْنَ جنٌّ ... أو يَمَّمُوا شُقَّةً فَطَيْرُ
قَدْ ضُجَّ مِنْ فِعْلِهِم جَدِيل ... بِنَسْلِهِ وَٱشْتَكَى غُرَيْرُ
هَذَا عُبَيْدٌ ، وَذَا زِيَادٌ ... وذَا لبيدٌ ، وذَا زُهَيْرُ
يَا لَكَ مِنْ هِمَّةٍ وعَزْمٍ ... لو أنه فى عَصَاكَ سَيْرُ

(١) ديوان أبى تمام ١٠٠ وشرح التبريزى ٢ / ٢٣ .
(٢) الكامل ١ / ١٧٣ وعيون الأخبار ١ / ٢٣٤ والصناعتين ٢٢٠ وصدره : « تقول سليمى : لو أقمت بأرضنا » .
(٣) سبق فى الجزء الأول ص ٢٥ .

رُبَّ قليل جدًّا كَثِيرٌ كَمْ مَطَرٍ بَدْؤُهُ مُطَيْرُ
صَبْرًا عَلَى النَّائِبَاتِ صَبْرًا ما صنَع اللهُ فهو خَيْرُ

فهذه معان مستقيمة صحيحة ، ونسج جيد ، ولفظ حسن إلا قوله : « هُنَّ البَجَارِيُّ يا بُجَيْرُ » ، فإنه لفظ متعسف مستكره . والبجارى : جمع بُجْرِيَّة وهو ما يمر بالإنسان[1] من الْبُجرِ والمَصَائِب . من قوله عليه السلام : « أَشْكُو إلى الله عُجَرى وبُجَرِى » فالبُجَرُ : جمع بُجْرة .

ثم قال : « أَهْدَى لها الأَبْؤُسَ الغُوَيْرُ » . وهذا هو المثل : « عَسى الغُوَيْر أَبْؤُسا »[2] .

يقول : جاءها البؤس من حيث لم تعلم أن هناك بؤسًا .[3] والبَجَارِيُّ هى البؤس أنفسها . فكان ينبغى أن يقول : أهدى لى الأَبؤُس الغوير ، لا أهدى لها .

وإن كان أراد أهدى لها يعنى نفسه ، ولم يجر لها ذكر فهو ردىء .

* * *

وقال البحترى :

وأَحَبُّ آفَاقِ البِلَادِ إلى الفَتَى أَرْضٌ [ينال] بها كَرِيمَ المَطْلَبِ[4]
كَمْ مَشْرِقٍ قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَهُ فجعلْتُه لِى عُدَّةً فى المَغْرِبِ

---

(١) م « ما يمر الإنسان من البحرى » .
(٢) مجمع الأمثال ٣ / ١٧ وجمهرة الأمثال ١٤٣ .
(٣) م « بؤس » .
(٤) ديوان البحترى ١٢٣ ، ١ / ٢٨٣ وفى م « وأحق » .

وقال :

أُمْسِى زَمِيلا لِلظَّلَامِ وأَغْتَدِى ... رِدْفًا عَلَى كَفَلِ الصَّبَاحِ الأَشْهَبِ[١]

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِفًا لِلْمَشْرِقِ الْـ ... أَقْصَى ، وطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ[٢]

وإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةَ مُعْدِمٍ ... فَالْبَسْ لَهَا حُلَلَ النَّوَى وتَغَرَّبِ

ولَقَدْ أَبِيتُ مَعَ الكَوَاكِبِ رَاكِبًا ... أَعْجَازَهَا بِعَزِيمَةٍ كالكَوْكَبِ

واللَّيْلُ فى لَوْنِ الغُرَاب كَأَنَّهُ ... هُوَ فى حُلُوكَتِهِ وإِنْ لَمْ يَنْعَبِ

حتَّى تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ جَنَبَاتِهِ ... كالماءِ يَلْمَعُ فى خِلَالِ الطُّحْلُبِ[٣]

والعيش تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهُ كما انْجَلَى ... صِبْغُ الشَّبَابِ عن القَذَالِ الأَشْيَبِ[٤]

وهذا من إحسان أبى عبادة الذى يتقدم على [كل] إحسان فى معناه .

وما قيل فى وضوح الصبح أجود ولا ألطف معنى ، ولا أبرع من قوله : « كالماء يلمع فى خلال الطحلب » .

وقوله : « فأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا للمشرق الأَقْصَى » - أجود من قول أبى تمام :

« تغرَّبت حتَّى لم أجد ذكر مشرق » ؛ لأنه يجوز أن لا يكون سمع[٥] أهلَ بلد يذكرون المشرق ، وليسوا جُهَّالًا به .

---

(١) ديوان البحترى ٦٠١ ، ١ / ٧٩ دار المعارف .

(٢) سبق ص ٢٦٣ .

(٣) فى الديوان « حتى تجلى الصبح فى جنباته . . من وراء الطحلب » وفى م « فى ظلال الطحلب » .

(٤) فى الديوان « والعين تنصل » .

(٥) م « يسمع » .

وقوله : «حتى قد نسيتُ المَغَارِبَا». يجوز أن ينساها فلا يذكرها ، وأن ينسى أباه فلا يذكره ، وليس ماله بروى[١] ، لأن غرضه فيه معروف ، ولكن قول البحترى أجود .

وقال البحترى :

أَشَرِّقُ أَمْ أُغَرِّبُ يَا سَعِيدُ وأَنْقُص مِنْ زَمَاعِى أَمْ أَزِيدُ[٢]
عَدَتْنِى عَنْ نَصِيبِينَ العَوَادِى فَحَظِّى أَبْلَهٌ فيها بَلِيدُ[٣]
أَرَى الحِرْمَانَ أَبْعَدَهُ قَرِيبٌ بها ، والنُّجْحَ أَقْرَبُهُ بَعِيدُ
تَقَاذَفُ بِى بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّى بَيْنَهَا خَبَرٌ شَرُودُ[٤]

قوله : «خبرٌ شَرُود» — معنى غريب طريف .

وقال :

وإِنَّ اغْتِرَابَ المَرْءِ فى غَيْرِ بُغْيَةٍ يُطَالِبُهَا مِنْ حَيْفِ دَهْرٍ يُطَالِبُهْ[٥]
فَلَيْسَ بِمَعْذُورٍ إِذَا رُدَّ سِرْبُهُ عَلَيْهِ بِأَنْ تَعْيَا عَلَيْهِ مَذَاهِبُهْ
ويُعْطِيه مُرْجُوَّ العَوَاقِبِ مُسْرِعًا إليه ركوبُ الأَمْرِ تُخْشَى عَوَاقِبُهْ
أُرَجِّى وَمَا نَقْعُ الرَّجَاءِ إِذا ٱلْتَقَتْ مَنَاحِسُ أَمْرٍ مُجْحِفٍ ومَعَاطِبُهْ
ومِمَّا يُعَنِّى النَّفْسَ كُلَّ عَنَائِهَا تَوَقُّعُهَا الصُّنْعَ البَعِيد تَقَارُبُهْ[٦]

وهذا البيت يصلح أن يكون فى باب الصبر والقناعة ، ومعناه من أتقن المعانى وأحسنها .

---

(١) كذا بالأصل ولعلها « وليس ما قاله بردى» .
(٢) ديوان البحترى ٤١٤ ، ١ / ٥٨٠ وسبق الأول ص ٢٣٤ .
(٣) فى الديوان « فقلبى أبله » ، « فنجحى أبله » .
(٤) وفيه « جمل شرود » .
(٥) ديوانه ٥٨٨ ، ١ / ٢١٩ .
(٦) فى الديوان « الصنع البطىء » .

وقال :

عَسَت الإضافَةُ أَنْ تَنَـــالَ بِهَا سَعَةً ونَكَّلَ ضَارباً شِبَعُهْ[١]
والفَسْلُ تَسْلُبُهُ عَزِيمَتُهُ أَدْنَى وُجُودِ كِفَايَةٍ تَسَعُهْ
لا يَلْبَثُ المَمْنُوعُ تَطْلُبُهُ حتَّى يَثُوبَ إِلَيْكَ مُمْتَنِعُهْ
والنَّيْلُ دَيْنٌ تَسْتَرِقُّ به فارْتَدْ لِرِقِّكَ عِنْدَ مَنْ تَضَعُهْ[٢]

قوله : «نَكَّل ضَارِبًا شِبَعُه» . أى أَقْعَدَهُ حتى نَكلَ عن المطلب .

* * *

وقال :

أَسِيرُ إِذْ كُنْتُ فى طولِ المَقَامِ بِهَا أَكْدِى لَعَلِّى أُجْدِى عِنْدَ مُرْتَحلِى[٣]
وربَّمَا حُرِمَ الغَازُونَ غُنْمَهُمُ فى الْغَزْو ، ثُمَّ أَصَابُوا الغُنْمَ فى قَفَلِ[٤]
شَرِّقْ وغَرِّبْ فَعَهْدُ العَاهِدِينَ لِمَا طالَبْتَ فى ذَمَلانِ الأَيْنُقِ الذُّمُلِ[٥]
ولا تَقُلْ أُمَمٌ شَتَّى ولا نَسَقٌ فالأَرْضُ مِنْ تُرْبَةٍ ، والنَّاسِ مِنْ رَجُلِ[٦]

قوله : «ولا تَقُل أُمَمٌ شَتَّى ولا نَسَقٌ» . أى لا يَصُدنَّك عن السفر أن تقول : كيف أُلاقى أُمَمًا متفرقين مُتَباعِدِين ، غير مُقْتَرِنين ، ولا مُتَّسِقِين ، وأترك أهلى وبلدى ؛ فإن تربة الأرض واحدة ، والناسُ أبناءُ رجل واحد .

وصدر هذا البيت ردىء ، وعجزه فى غاية الحسن والبراعة .

* * *

(١) سقط هذا البيت من الديوان ص ٢٣٧ . وهو فى طبعة مصر ٢ / ٨٣ .
(٢) فى طبعتى الديوان « فاطلب لرقك » .
(٣) ديوان البحترى ٢٢٧ .
(٤) فى الديوان « فى القفل » .
(٥) فى الديوان « بما طاليت » .
(٦) م « شتى ولا فرق » .

ولولا أن محاسن أبي تمام فى هذا الباب هى أبياته الأربعة والجميع من معانيها مَسْروقة - لفضّلته على البحترى إلا فى بيت الطحلب فإنّه معنى ما علمتُ أحدًا سَبَق إليه ، ولا قيل فى وضوح الصبح أبرع منه . فأجعلهما متكافئين .

رفع المسهم

ومما* ذكرا فيه سُرَى الإبل

قال أبو تمام :

لَا تُذِيلَنْ صَغِيرَ هَمِّكَ وانظُرْ ... كَمْ بذى الأَثْلِ دَوْحَة مِنْ قَضِيبِ[1]
رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السُّرَى وغَنَاءٍ ... مِنْ عَنَاءٍ ، ونَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
فاسْأَلِ العِيسَ مَا لَدَيْها وأَلِّفْ ... بَيْنَ أَشْبَاحِهَا وبَيْنَ السُّهُوبِ[2]

وقال :

فَتَى النَّكَبَاتِ مَنْ يَأْوِى إِذَا مَا ... قَطَفْنَ بِهِ إلى خُلُقٍ وَسَاعِ[3]
يُثِير عَجَاجَةً فى كلِّ ثَغْـرٍ ... يَهِيمُ بِهَا عَدِىُّ بنُ الرِّقَاعِ
أَبَنَّ مَعَ السِّبَاعِ الماءُ [حَتَّى] ... لَخَالَتْهُ السِّبَاعُ مِنَ السِّباعِ
فَلَبُّ الحزْمَ إِنْ حَاوَلْتَ يَوْمًا ... بِأَنْ تَسْطِيعَ غَيْرَ المُسْتَطَاعِ[4]
فَلَمْ تَرْحَلْ كَنَاجِيَةِ المَهَارِى ... ولم تُرْكِبْ هُمُومَكَ كالزِّمَاعِ

قوله : «قَطَفْنَ» أى أبطأً فى الانصراف والانكشاف عنه ، وتثاقلن فى المضى ، مأخوذ من قولهم : دابَّة قَطُوفٌ ، وهو الذى يقصّر خطوه فيبطئ ذهابه .

---

* م «وما» .

(١) ديوان أبى تمام ٣٦ وشرح التبريزى ١ / ١٢٦ – ١٢٧ .

(٢) ويروى : «بين أشخاصها» .

(٣) ديوانه ١٩٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣٦ ويروى «أطفن» يقول : «هو صاحب النكبات والشدائد يرتكبها ويأوى إلى خلق واسع إذا ضيقن من مذاهبه وأحطن به» .

(٤) م «فليت الحزم» وفى شرح التبريزى «ويروى : فلب العزم ، يقول : إنه أردت أن تقدر على مالا يقدر عليه ، فأوجب عزمك واتبعه ولا تخالفه ، فإن العزم يؤديك إلى النجح . . . وقال المرزوقى .. معنى البيت : أجب الحزم وعليك به فيما تطلبه من المهمات . فإن الحزم يعين على كل شىء حتى على مالا يتأتى ولا يسهل» .

يقول : فإنه مع هذه الحال يأوى إلى خلق واسع ، وصبر على المِحَنِ حتى تنكشف.

وقوله : «يُثِيرُ عَجَاجَةً فى كلِّ ثَغْرٍ» . أى يطأ كل بلدة مَخُوفَةٍ ، وتثير مطيتُه غبارَ كلِّ بقعة . ونسب العجاجة إلى عَدِىّ بن الرِّقَاع لأن عَدِيا وصف العَيْرَ والأَتَانَ وما يُثِيرانِه من الغبَار فى السهل من الأَرض ، فإذا صارا إلى الحَزْن لم يوجد لها فيه نَقْعٌ ، فشبَّهه بمُلاءةٍ يَنْشُرَانِها مَرَّةً ، ويَطْوِيَانِها أُخرى فقال :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الغُبَارِ مُلَاءَةً سَوْدَاءَ دَاجِيَةً هُمَا نَسَجَاهَا[1]

تُطْوَى إذا عَلَوَا مكانًا نَاشِرًا وإذَا السَّنَابِكَ أَسْهَلَتْ نَشَراها

وهذا من تشبيهات العرب الموصوفة. فجعل أبو تمام عَدِيًّا ممن هام بهذه العجاجة ، أتى بوصفها إعجابًا بها ، وأن ناقته أيضًا تُثِير عجاجةً فى كل ناحية كهذه العجاجة .

وهذا تمحل منه لمعنى غير لائق بما هو بسبيله من ذِكْرِ سَيْرِه ؛ لأنه إن كان أراد أنه أيضًا يثير النَّقْعَ فى السهل ، ولا يثيره فى الحَزْن فكلٌّ سائر فيهما هذه حَالُه ، فما وجه ذِكْرِهِ عجاجةَ عدىّ ، وإنما حسن من عَدىّ ، وصحَّ التشبيه لأن الحِمَارَ إذا طلب الأَتانَ فليس يَجْرِيَانِ على استقامة بل تراهما بَيْنَا هُمَا فى الحَزْن صَارَا إلى السَّهْل ، ثم يعودان إلى الحَزْن ، فتراهما مُسْهِلَيْن ومُحْزِنَيْنِ لِجَوَلَانِهِمَا ، فترى عجاجتهما تَثُور حِينًا ، وتَلْبَدُ حينًا ، فصح التشبيه وحسن . والمسافر إنما يَمُرُّ على سنن واحد فليس يكاد يخرج من سهل إلى حزن ، ومن حزن إلى سهل فى وقت واحد تدركه

(١) الطرائف ٩٦ وأمالى المرتضى ١٠٣/١ ونقد الشعر ٤٢ ومعجم الشعراء ٢٥٣ وفى م «نشرها» .

منه العيون فيكون الغبار مشبهًا لملاءة تنشر وتطوى . وإنما يقع ذلك فى أوقات متراخية يسقط معها هذا المعنى .

* * *

وقال أبو تمام :

وَرَكْبٍ يُساقُونَ الرِّكابَ زُجَاجَةً ... مِنَ السَّيْرِ لَمْ تقْصِدْ لَهَا كَفُّ قَاطِبِ[1]

فَقَدْ أَكَلَتْ مِنْهَا الغَوَارِبُ بالسُّرى ... وصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كالغَوَارِبِ[2]

يَرَى بالكَعَابِ الرَّودِ طلْعَةَ ثَائِرٍ ... وبالعِرْمِسِ الوَجْنَاءِ غُرَّةَ آيِبِ[3]

كَأَنَّ بِهِ ضِغْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ ... مِنَ الأَرْضِ ، أَوْ شَوْقًا إلى كُلِّ جَانِبِ

قوله : «لم تقصد لها كف قاطب» . أى سَيْرًا لا يلين ولا يَفْتُر ، كما تُقْطَبُ الرَّاحُ أن تُمْزَج وتُكْسَر بالماءِ وتلين .

وقال :

فَاطْلُبْ هُدُوءًا بِالتَّقَلْقُلِ واسْتَثِرْ ... بالعِيسِ مِنْ تَحْتِ السُّهَادِ هُجُودَا[4]

مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عَلَلِ السُّرَى ... وَخْدًا يَبِيتُ النومُ مِنْهُ شَرِيدَا[5]

(١) ديوان أبى تمام ٤١ وفى شرح التبريزى ١ / ٢٠٩ عن الصولى : «أى يسكرون المطى بالتعب فكأنهم سقوها زجاجة ، أى شراباً فى زجاجة ، وقاطب : أى مازج . أى ليست هى على الحقيقة زجاجة فيها شراب يناولها الساقى صاحبه بقصد» .

(٢) فى الديوان وشرحه «فقد أكلوا ، يقول : أتعبوها حتى ذابت أسنمتها ، وصاروا لها كالأسنة فوقها» .

(٣) نقل التبريزى عن الصولى قوله : «هذا الرجل من حبه للسفر فى طلب العلى . إذا رأى الكاعب الحسناء فكأنما يرى طلعة ثائر قد جاء ليثأر منه ، لبغضه الكاعب وحبه للسفر ، إلى أن يبلغ مراده وينال حاجته . ويرى بالعرمس . وهى الناقة الصلبة — من حبه لها طلعة قادم عليه ، حتى يبلغ إلى أبى دلف هذا الممدوح . .» .

(٤) ديوانه ٨٨ وشرح التبريزى ١ / ٤١٦ «بالعيس : أى بركوب العيس . ومن تحت السهاد : أى من تحت الصبر على السهاد . أى اطلب بالحركة فى الأسفار سكوناً ودعة فيما بعد ، وبالأرق نوماً» .

(٥) فى شرح التبريزى : «علل السرى : يعنى إسراء بعد إسراء ، أخذه من علل الشرب . ومن روى على علل السرى — بكسر العين — أى ما يحدثه السرى من هزالها وغير ذلك» .

رفع المسهم

يَخْدِى بِمُنْصَلِتٍ يَظَلُّ إِذَا وَنَى ضُرَبَاؤُهُ حِلْسًا لَهَا وَقُتُودَا[١]
جعَل الدُّجَى جَمَلًا وَوَدَّعَ رَاضِيًا بالهُونِ يَتَّخِذُ القُعُودَ قَعُودَا[٢]

وقال :

وَرَأَيْتَ ضَيْفَ الهَمِّ لا يَرْضَى قِرًى إِلَّا مُدَاخَلَةَ القِفَارِ دِلَاثَا[٣]
شَجْعَاءَ جِرَّتُها الذَّمِيلُ تَلُوكُهُ أُصُلًا إِذَا رَاحَ المَطِيُّ غِرَاثَا[٤]
أُجُدًا إِذَا دَنَت المَهَارِى أَرْقَلَتْ رَقَلًا كَتَحْرِيقِ الغضا حَثْحَاثَا[٥]

مُدَاخَلَةُ القَفَار : مُوَثَّقَةُ الخَلْق .

والدِّلَاثُ : السريعة ، والمُنْدَلِثُ : المسرع ، يقال : اَنْدَلَثَ اَنْدِلَاثا .

و « شَجْعَاءُ جِرَّتُهَا الذَّمِيلُ »[٦] مثل ، أى إذا اَجْتَرَّتْ الإبلُ العلف من بطونها ولَاكَتْهُ فليس لهذه الناقة جرّة [إلا الذميل] وهو ضرب من السير

---

(١) المنصلت : الماضى فى الأمر . وضرباؤه : نظراؤه يقول : هذا الرجل قد ألف ظهور العيس فكأنه قتود لها وهذا مثل قولهم : بنو فلان أحلاس الخيل . وفى م « لمتصلت » .

(٢) نقل التبريزى عن المرزوقى قوله : « والمعنى أنه امتطى الليل وخلف من كان يرضى بالهوان ويلزم بيته ، ولا يسعى فى كسب المال وتحصيله ، بل اتخذ جلوسه قعوداً له ، أى اقتعده ورضى به مركبا » ومن أمثال العرب : اتخذ الليل جملا : أى سرى الليل كله وركبه فى حاجته . راجع اللسان ١٣ / ١٣١ ومجمع الأمثال ١ / ١٣٥ .

(٣) ديوانه ٦٤ وشرح التبريزى ١ / ٣١٧ والقفار : خرز الظهر . والدلاث : الناقة الجريئة على السير .

(٤) قال المرزوقى : « الشجعاء : الطويلة ، وقيل : هى التى بها جنون من نشاطها ، والجرة : ما تخرجه الناقه من جوفها إلى فمها وتجتر به . والذميل : السير السريع . وتلوكه : تمضغه . والأصل : العشية . والغراث : الجياع . يصف ناقة فيقول : هى نشيطة تجتر بالذميل إذا جاء الوقت الذى تكل فيه الإبل ، وهو العشية متى سارت النهار كله ، أى تسير سيرا سريعا . وجعل الاجترار مثلا للحوق الكلال وانقطاع القوى والأثر ، يقول : هى تصل السير بالسرى باقيا نشاطها إذا حسرت الإبل وكلت قواها . ويفسره البيت الذى بعده » .

(٥) الأجد : القوية الموثقة الخلق . والإرقال : الإسراع . والغضا : شجر يوقد به ، وهو من أجود الوقود عند العرب . وحثحاثا : سريعاً . وفى م « جثجاثا » وهو تحريف .

(٦) م « والشجعاء وجرتها الذميل » .

كما قال فى وصف الخيل :

* تَعْلِيقُها الإِسْرَاجُ والإِلْجَامُ *[1]

جعل ذلك مكان الشعير فى المَخَالِى إذا عُلِّقَت عليها .

يقول : إذا وَنَت الرِّكَابُ وغَرِثتْ ، أى احتاجت إلى العَلَف ، فإنَّ هذه الناقة لاقتدارها على السير ، وصَبْرِها على[2] الرَّمَل - تَلُوكُ الذَّمِيلَ كأنَّه طَعَامُها .

وهذه القطع كلها جياد صحيحة المعانى والألفاظ .

* * *

وقال :

سَأَخْرِقُ الخَرْقَ يا بْنِ خَرْقَاءَ كَالْ هَيْقِ إذَا ما اسْتجمّ مِنْ نَجَدِهْ[3]
مُقَابَلٍ فى الجَدِيلِ صُلْبِ القَرَا لُوْحِكَ مِنْ عَجْبِهِ إلى كَنَدِهْ
تَامِكِهِ نَهْدِهِ مُدَاخَلِهِ مَلْمُومِهِ مُحْزَئِلِّهِ أُجُدِهْ

« ابن خَرْقَاء » : يريد بعيرًا .

والهَيْقُ . الظَلِيمُ . شُبِّهه [به] لنشاطه وسرعته .

والنَّجَدُ : العَرَقُ . أى هو كالهَيْقِ فى هذه الحال التى يُقَدَّرُ فيها فُتُورُهُ .

مُقَابَلٌ : كريم الآباء والأُمهات . فى الجديل : وهو فَحْلٌ كريم .

لُوحِكَ : شُدَّ وَوُثِّقَ . والكَنَدُ : ما يتصِلُ بالحَارِكِ من العُنُق .

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٨١ وصدره « بسواهم لحق الأباطل شزب » .

(٢) م « عن » .

(٣) ديوانه ٩١ وشرح التبريزى ١ / ٤٣٤ .

والتَّامِكُ : المرتفع ، وكذلك النَّهْدُ[1] .

والمَلْمُومُ : الذى قد استوى لحمه وشحمه من سنمه ، ولم يبق له عظم شاخِص.

والمُحْزَئِلُّ : المرتفع ، يقال : اَحْزَأَلَّ أى ارتفع فى السير .

وهذه معانٍ صحيحة . ولكن النَّسْجَ لا حلاوة له ، ولا طلاوة عليه .

* * *

وقال :

وَإلى جَنَابِ أَبِى الحُسَيْنِ تَشَنَّعَتْ ... بِزِمَامِهَا كالمُصْعَبِ المَخْطُومِ[2]

جَاءَتْكَ مِنْ مُعْجٍ خَوَانِفَ فى البُرى ... وعَوَارِفٍ بالمَعْلَمِ المَأْمُومِ

مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ كَأَنَّ أَدِيمَها ... حِيصَتْ ظِهَارَتُهُ بِجِلْدِ أَطُومِ

تُثْنِى مِلَاطَيْهَا إِذَا ما اسْتُكْرِهَتْ ... سَعْدَانَةً كَإِدَارَةِ القُرْزُومِ

طَلَبَتْكَ مِنْ نَسْلِ الجَدِيلِ وشَدْقَمٍ ... كُومٌ عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلَ كُومِ

يَنْسَيْنَ أَصْوَاتَ الحُدَاةِ ونَبْرَهَا ... طَرَبًا لأَصْوَاتِ الصَّدَى والبُومِ

فَأَصَبْنَ بَحْرَ نَدَاكَ غَيْرُ مُصَرَّدٍ ... وِرْدًا ، وأُمَّ نَدَاكَ غيرَ عَقِيمِ

لَمَّا وَرَدْنَ حِيَاضَ سَيْبِكَ طُلَّحًا ... خَيَّمْنَ ، ثُمَّ شَرِبْنَ شُرْبَ الهِيمِ

قوله : «تَشَنَّعَتْ» : أى أخذت أُهْبَتَها للسير ، وشمرت ، من قولهم : تَشَنَّعَ الفارِسُ ، إذا لبس سلاحَه .

---

(١) م « النهو » وهو تحريف .

(٢) ديوان أبى تمام ٣٠٦ وفى شرح التبريزى ٣ / ٢٦٢ « ويروى : كالبازل المخطوم » يقال تشنعت الناقة . إذا ترفعت فى سيرها . وإذا شبهوا الإناث بالفحول فذلك مبالغة عندهم » .

ومُعْجٌ : جمع مُعْجَة. والمَعْجُ : التَّغَلُّب فى الجَرْى ، يقال : مَرَّ الحمارُ يمْعَجُ مَعْجًا ، إذا جرى فى كلِّ وجه بسرعة ، وحِمَارٌ مَعَّاج .

والخَوَانِف : جمع خُنُوف ، وهى الناقة التى تضرب بيدها فى السير من نشاطها وفيه بعض المَيْل .

والمَعْلَمُ : الطَّريق . والمأموم : الذى يُؤْتَمُّ . عارِفَةً بالطريق الذى يجب أن تَؤُمَّهُ لطول دَأْبِهَا ، وكثرة سيرها فى الطرق المختلفة .

وقوله : «حَبِصَتْ» خِيطَتْ بجلد أطُوم ، يقال : إن الأَطُومَ : السَّلَحْفَاءُ البحرىّ الذى يجعل من جلده الدَّبَلُ[1] ، ويشبَّه جلد البعير الأملس به . ويقال : الأَطُومُ : سمكة فى البحر غليظة ، وقيل بل هى بقرة يتخذ من جلدها الخِفَافَ للحَمَّالين . قال الشَّمَّاخُ يصف ناقة :

وَجِلْدُها مِنْ أَطُومٍ ما يُؤَيِّسُهُ طِلْحٌ كَضَاحِيَةِ الصَّيْداءِ مَهْزُولُ[2]

قيل فى تفسيره : الأَطُومُ : سمكة بحرية تُخْصَفُ الخِفَافُ والنِّعَالُ بجلدها .

ويُؤَيِّسُهُ : يُذَلِّلُه ، والتَّايِيسُ : التَّذْلِيلُ .

والطِّلْحُ : والقُرَادُ هاهنا ، والطِّلْحُ : الضئيل المهزول .

والصَّيْدَاءُ : حَصى . والصَّيْدَانُ[3] : حِجَارَةٌ .

وضاحية : ما ضَحَا لِلشَّمْسِ منها وظَهرَ .

وقال الأخفش فى تفسير هذا البيت : الأَطُومُ : طَىُّ البئر بالصخر الأسود ، ويقال : الأَطوم : الصَّدَف .

وقوله : «تَثْنى مِلَاطَيْها» أى تُبَاعِدُ بينهما .

ومِلَاطَاهَا : وعَضُدَاها .

---

(١) المراد بالذبل هنا : الأسورة والأمشاط ، راجع اللسان ١٣ / ٢٧٢ .

(٢) ديوان الشماخ ٧٩ «بضاحية الصيداء» وفى اللسان ٤ / ٣٨٥١ «بضاحية» .

(٣) اللسان ٤ / ٢٥١ .

سَعْدَانَة : والسَّعْدَانَةُ من البعير : هى البَلْدَةُ[١] ، أى تباعد بين عضديها كِرْكِرَة[٢] ، أو بَلْدَةٌ مستديرة كإدارة الفُرْرُوم ، وهى الخشبة المُدَوَّرَةُ التى يَحْذُو عليها الحذَّاءُ[٣] . وذلك محمود فى الإبل أن يتباعد عَضُدُ البَعير من زَوْرِهِ فى السير .

والكُومُ : العِظَامُ الأَسْنِمَةُ ، واحدتها كَوْمَاءُ .

وقوله :

يَنْسَين أَصْوَاتَ الحُدَاةِ [ونَبْرَهَا] طَرَبًا لِأَصْوَاتِ الصدَى والبُومِ[٤]

أى ألفتْ صوت الصَّدى والبوم لكثرة سيرها فى الفيافى ، حتى صارت تطرب لذلك وتَنْسى أصواتَ الحُدَاة .

وهذا من مبالغاته البعيدة الباطلة .

ولو قال : إلفًا لأصوات الصدى كان أشبه بالصواب قليلا من الطَّرَب .

وهذه أبيات صالحة على ما فيها من التكلف .

* * *

وقال :

الهَمُّ ، والعِيسُ ، واللَّيْلُ التَّمامُ مَعًا ثَلَاثَة أَبَدًا يُقْرَنَّ فى قَرَنِ[٥]

حَوْبًا حَلًا ، قَاسِمِينى الهَمَّ يا ابْنَتَهُ فَقَدْ خُلِقْتِ لِغَيْرِ الحَوْضِ والعَطَنِ[٦]

---

(١) البلدة : ثفرة النحر . راجع اللسان ٤ / ٦٣ .

(٢) فى اللسان ٦ / ٤٥٢ « الكركرة : رحى زور البعير والناقة ، وهى إحدى الثفنات الخمس وهى زور البعير الذى إذا برك أصاب الأرض وهى ناتئة عن جسمه كالقرصة ، وجمعها كراكر » .

(٣) اللسان ١٥ / ٣٧٥ .

(٤) م « الصدق والبوم » !

(٥) ديوان أبى تمام ٢٣٤ وشرح التبريزى ٣ / ٣٣٨ .

(٦) فى الديوان وشرحه « أقول للحرة الوجناء لا تهنى فقد » .

قوله : « حَوْبًا حَلا » زَجْرٌ من زَجْرِ الإبل[١] ، كأنه زجر ناقته ، وقال لها : قاسمينى الهم يا ابنته : يا بنت الهمّ ، سيرى وانطلقى فقد خُلِقْت لغير الحوض والعطن ، أى خُلِقْتِ لقطع الأسفار لا للإقامة .

ولفظ هذا البيت الأخير ردىءٌ ، ونَسْجُه قبيح .

وأخذ البحترى معنى الأول فقال :

يَا خَلِيلَىَّ بالسَّوَاجِيرِ مِنْ وُدِّبْـ ... ـنِ مَعْنٍ وبُخْتُرِ بْنِ عَتُودِ[٢]
اطْلُبَـا ثَالثًا سِوايَ فإنِّى ... رَابعُ الْعِيسِ واللُّجَى والبيدِ

* * *

وقال البحترى :

بَنَاتُ العِيدِ تَعْتَادُ الفَيَافِى ... إذَا شِئْنَا اسْتَمَرَّ بها الذَّمِيلُ[٣]
وَمَا طَرَفَا زَمَانِ المَرْءِ إلَّا ... مَقَامٌ يَرْتَضِيهِ ، أَوْ رَحِيلُ

وقال :

وإذَا مَا تَنَكَّرَتْ لِى بِلَادٌ ... أَوْ خَلِيلٌ فَإِنَّنِى بالخِيَارِ[٤]
وَخَدَانُ القِلَاصِ حَوْلًا إذَا قَا ... بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الأَسْحَارِ
يَتَرَقْرَقْنَ كَالسَّرَابِ وقَدْ خُضْـ ... ـنَ غِمَارًا مِنَ السَّرابِ الجَارِى[٥]
كَالقِسِىِّ المُعَطَّفَاتِ بَلِ الأَسْـ ... ـهُمِ مَبْرِيَّةً بَلِ الأَوْتَارِ[٦]

وهذا من أوصاف الإبل إذا أضمرها السير [وهى] فى غاية الحسن والصحة والحلاوة فى اللفظ والنَّسْج .

---

(١) اللسان ١ / ٢٣٠ .
(٢) ديوان البحترى ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٣ دار المعارف .
(٣) ديوانه ٣٠١ .
(٤) ديوانه ٤٤٥ ، ٢ / ٩٨٧ .
(٥) م « يترقرن » .
(٦) م « الأوتاد » .

ومثله فى الجودة والحسن قوله :

وَهِيَ العِيسُ دَهْرَهَا فى ارْتِحَالٍ ... مِنْ حُلُول، أَوْ فُوْقَةٍ مِنْ جَمِيعِ (١)
رُبَّ مَرْتٍ مَرَّتْ تُجَاذِبُ قُطْرَيْ ... هِ سَرابًا كالمَنْهَلِ المَشْرُوعِ (٢)
وَسُرًى تَنْتَحِيهِ بالوَخْدِ حَتَّى ... تَصْدَعُ الليلَ عَنْ بَيَاضِ الصَّدِيعِ
كالبُرَى فى البُرَى ويُحْسَبْنَ أَحْيَا ... نًا نُسُوعًا مَجْدُولَةً مِنْ نُسُوعِ (٣)

وقال :

سَوْفَ أُعْطِى السُّلُوَّ والصَّبْرَ ما أَمْ ... نَعُ مِنْ طَارِفِ الهَوَى أَوْ تِلَيدِ (٤)
بالمَهارَى يَلْبَسْن لَوْنًا جديدًا ... مُسْتَفَادًا فى كُلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ
فَهْيَ طُول النَّهارِ بِيضٌ وطَول الْـ ... لَيْلِ فى أَقْمُصٍ مِنَ اللَّيْل سُودِ
طَالِباتٍ فى الغَوْثِ غَيْثًا سَكُوبًا ... وحَمِيدًا فى آلِ عَبْدِ الحَمِيدِ

وهذا كل جيد بالغ ، وعذب حلو ، ومعان لطيفة لائقة .

* * *

وقد أَجاد كل واحد منهما وصْفَ إبِلِه على الطريقة التى قصدها واعتمدها ، وإن كانت معانى البحترى فيما ذهب إليه من الضمر حلوة جدًّا .

* * *

فأَقول : إنهما فى الباب متكافئين .

---

(١) ديوان البحترى ٤٢١ ، ٢ / ١٢٧٩ دار المعارف .

(٢) البيت ليس فى ديوانه ، وهو فى طبعة مصر ٢ / ٩١ .

(٣) فى الديوان « فى النسوع » كالبرى جمع برة وهى كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها . والبرى : جمع برة وهى الحلقة من صفر أو غيره تجعل فى لحم أنف البعير . والنسوع جمع نسع ، وهى السير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال ، وقال ابن الأثير : هو سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره ، كما فى اللسان ١٠ / ٢٣٠ .

(٤) ديوانه ١ / ٧٦٩ دار المعارف .

* * *

ولأبى تمام فى وصف الإبل أشياءُ رديئة لم أكتبها ، وفيها قصيدة يصف فيها ناقة حج عليها ـ رديئة جدًّا أولها :

لَعَلَّكَ ذَاكِرُ الطَّلَلِ القديمِ وَمُوفٍ بالعُهود على الرُّسُومِ[1]

له فيها ألفاظ مختلفة ، ومعان من معانى السوق . وقد تقدم فى الباب[2] قوله :

ورَكِبٍ كأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ عَرَّسُوا على مِثْلِهَا والليلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهْ
لأَمْرٍ عليهم أَنْ يَتِمَّ صُدُورُهُ وليس عليهم أَنْ يَتِمَّ عَوَاقِبُهْ

فى أبيات [ما هى[3]] من ذلك الباب ، ثم قال بعدها ما هو من هذا الباب فى وصف الإبل . وسبيلها أن تثبت فى هذا الباب فى أوله :

عَلَى كُلِّ مَوَّارِ المِلَاطِ تَهَدَّمَتْ عَرِيكَتُهُ العَلْيَاءُ ، وَانْضَمَّ حَالِبُهْ[4]
رَعَتْهُ الفَيَافِى بَعْدَمَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرَّوْضِ يَنْهَلُّ سَاكِبُهْ
فَأَضْحَى الفَلَا قَدْ جَدَّ فى بَرْىِ نَحْضِهِ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَاكَ يُلَاعِبُهْ
فَكَمْ جِزْعِ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةَ غَارِبٍ ومِنْ قَبْلُ كانَتْ أَتْمَكَتْهُ مَذَانِبُهْ

قوله : «مَوَّارِ المِلَاط» فالمِلَاطُ : عَضُدُ البعير . ومَوَّار : يريد حركته فى السير .

وعريكته العلياءُ : يعنى سَنَامه . تَهدَّمت من طول السفر ، وكذا انضم حَالِبه[5] .

---

(١) ديوان أبى تمام ٤٢٣ .
(٢) فى باب طلب الرزق ص ٢٦٧ .
(٣) م « فى أبيات هو من » .
(٤) ديوانه ٤٤ وشرح التبريزى ١ / ٢٢٩ .
(٥) م « جانبه » .

وقوله : «يلاعبه» : لفظة ضعيفة المعنى ، وإنما جاء بها من أجل قوله : [جَدَّ] فى بَرْيِ نَحْضِه ؛ ليطابق بين الجد واللعب.

أى إن الفلا جَدَّ فى أخذ لَحْمِهِ فى سيرنا هذا السير ، فجعل مكان هذا القول : «وكان زَمَانًا قبل ذاك يُلَاعِبُهْ» على مذهبه فى عشق «الطِّبَاق» الذى لا بُدَّ له من أن يأتى به وإن حصل المعنى ضعيفًا رَكِيكًا ، ورَبّما كان مُحَالًا .

وقوله : «أَتْمَكَتْهُ» أى أَسْمَنتْ تَامِكَهُ ، وهو سنامه .

والمَذَانِبُ : مجارى الماء ، وهى أَبَدًا مُعْشِبَة .

* * *

ولئن كانا جميعًا أحسنا فى هذا الباب فما وصفا مطيَّهما بالسرعة وصفَ «مسلم بن الوليد» إذ يقول :

إلى الأَمام تَهَادَانا بِأَرحلنَا ... خَلْقٌ مِنَ الرِّيحِ فى أَشْياخِ ظُلْمَانِ[1]

كأَنَّ إِفْلَاتَهَا والفَجْرُ يأْخُذُها ... أَفْلَاتُ صَادِرَةٍ عَنْ صَوتِ مِرْنَانِ[2]

تَنْسَاب فى اللَّيل لا تَرْعَى لِهَاجِسَةٍ ... كأَنَّنِى رَاكِبٌ فى رَأْسِ ثُعْبَانِ[3]

---

(١) ديوان مسلم بن الوليد ٧٦ طبع الهند والأول والثانى فى ديوان المعانى ٢ / ١٢٢ وأمالى المرتضى ٩ / ٥٥٤ وجاء فى شرح الديوان يقول : إلى الأمام . يعنى هارون الرشيد — تهادانا بأرحلنا . أى حملنا بأرحلنا . خلق من الريح ، يعنى النوق . فى أشباح ظلمان أى فى أبداء ظلمان ، وهى ذكور النعام . شبه النوق بسرعتها فى السير بالريح . وذكر وثيمة فى كتاب الهدى : أن الإبل خلقها الله من الريح حين خلق الخلائق فى أول الزمان ، والشعراء المولدون قد كثروا من ذلك . والأشباح : الشخوص ، واحدها شبح بفتح الباء» . وفى م «تهادينا بأرجلنا» وانظر ديوانه طبع دار المعارف ١٢٦ .

(٢) م «والبحر يأخذ» وفى الديوان : «صادرة عن قوس حسبان» يقول : كأن إفلات هذه الناقة ، أى انبعاثها فى السير انبعاث ظبية رماها رام فأخطأها ، وقد سمعت وتر القوس وشعرت بالسهم فهى تفر ، شبه ناقته بها فى السرعة . وقوله : عن قوس حسبان ، يقال لضرب من القسى : حسبانية ، منسوبة إلى رجل أو بلد ، وصادرة : راجعة عن الماء . يريد أنها أرادت شرب الماء فأصابت رامياً تعمدها بسهم فأخطأها فنفرت مسرعة» .

(٣) فى الديوان : «ينساب . . لا يرعى» أى لا يرعى سمعه لحركة فى الليل من صوت ، كأنه راكب فى رأس ثعبان ، يصف ، ما هو فيه من مزاولة السير فى الفلاة بالليل» .

رفع المسيهما

وقد أفرط الذى يقول ، وأحسن فى إفْرَاطِه :

مَرُوحٌ بِرِجْلَيْهَا إذَا هِيَ هَجَّرَتْ وَيَمْنَعُهَا مِنْ أنْ تَطِيرَ زِمَامُهَا

وقال « الشماخ » :

* تَكادُ تَطِيرُ مِنْ رَأى القَطِيعِ[1] *

وقال « الحُطَيْئَة » :

وإنْ نَظَرَتْ يَوْمًا بِمُؤْخَرِ عَيْنِها إلى عَلَمٍ بالغَوْرِ قُلْتَ لَهُ ابْعِد[2]

---

(١) ديوان الشماخ ٥٩ وصدره : « مروح تغتلى باليد حرف » .

(٢) ديوان الحطيئة ٢٣ « فى الغور قالت له » .

رفع المسهم

باب الشحوب والتغير من الأسفار

قال أبو تمام :

نَظَرَتْ إِلَيْهِ فَمَا اسْتَتَمَّتْ لَحْظَهَا ... حَتَّى تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرِ(١)

ورأَتْ شُحوبًا رَابَهَا فى وجهه ... مَاذَا يَرِيبُك مِنْ جَوَادٍ مُضْمَرِ(٢)

غَرَضِ الحَوَادِثِ لا تَزَالُ مُلِمَّةً ... تَرْمِيهِ عَنْ شَزْرٍ بِأُمِّ حَبَوْكَرِ(٣)

سَدِكَتْ بِهِ الأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا ... لَتَكَادُ تَفْجَؤُهُ بِمَا لَمْ يُقْدَرِ(٤)

وهذا ما لا غاية وراءه فى الحسن والصحة والبراعة .

قوله : « سَدِكَتْ بِهِ الأَقدار » ، أى لَزِمَتْه ، وغَرِيَتْ به .

وقال البحترى نحو هذا البيت الأخير ولكن على وجه آخر وأحسن وأجلى ، قال :

وَلَوْ فَاتَنِى المَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ ... بِسَعْيٍ لَأَدْرَكْتُ الذى لَمْ يُقَدَّرِ(٥)

* * *

وقال أبو تمام :

نَكِرَتْ فتًى أَلْوَى بِنَضْرَةِ وَجْهِهِ ... وبِمَائِهِ ـ نَكَدُ الخُطُوبِ وَلُومُهَا(٦)

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٩٦ .

(٢) فى الديوان « شحوبا رابها فى جسمه » .

(٣) وفيه : « عن شنق » وأم حبوكر : أعظم الدواهى ، كما فى اللسان ٥ / ٢٣٤ .

(٤) م « سدكت بها » .

(٥) ديوان البحترى ٢١٥ .

(٦) ديوان أبى تمام ٣١٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢٧٢ .

لا تُنْكِرِى شِيَمِى فإنى زَائِدِى حَزْمًا حِضَارُ النَّائِبَاتِ وشِيمُهَا[1]
فَلَقَبْل أَظْهَرَ صَقْل سَيْفٍ أَثْرُهُ فَبَدَا وهَذَّبَتِ القُلُوبُ هُمُومُهَا
والحادِثَاتُ وإنْ أَصَابَكَ بُؤْسُها فَهْوَ الذى أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا

حِضَارُ النَّائِبَات : بِيضُها ، وشِيمُها : سُودُها . يريد أنه يزيد فى حزمه ومعرفته بالأُمور – ما يقاسيه من الخير والشر .

وقال :

لَا يَطْرُدُ الهَمَّ إلَّا الهَمُّ مِنْ رَجُلٍ مُقَلْقِلٍ لبَنَاتِ القَفْرَةِ النُّعُب[2]
لا تُنْكِرِى مِنْهُ تَخْدِيدًا تَجَلَّلَهُ فَالسَّيْفُ لَايُزْدَرَى إنْ كَانَ ذَا شُطَبِ[3]

وهذا كله جيد بالغ حسن نادر .

* * *

وقال البحترى :

مَا تُنْكِرُ الحَسْنَاءُ مِنْ مُتَوَغِّل فى اللَّيْل يَخْلِطُ أَيْنَهُ بِسُهُودِهِ[4]
قَدْ لَوَّحَتْ مِنْهُ السُّهُوبُ وأَثَّرَتْ فى يَمْنَتَيْهِ وعَنْسِهِ وقُتُودِهِ
فَلِفِضَّةِ السَّيْفِ المُحَلَّى حُسْنُهُ مُتَقَلِّدًا ومَضَاؤُهُ لِحَدِيدِهِ

تمّ الباب .

* * *

وهذا ما قلت أذكره فى آخر الباب من حال قيس بن زُهَيْر ، والحارِث ابنُ مُضاض ، والبرَّاض .

---

(١) فى الديوان « لاتنكرى همى » وفى م « حزنا » .

(٢) ديوان أبى تمام ١٥ وشرح التبريزى ١ / ١١٥ « الهم الأول : ما يجده الرجل فى صدره مما يوجب رحيله . والهم الثانى : الهمة . مقلقل : من القلقة وهى الحركة العنيفة . وبنات القفر : الإبل ، جعلها بنات القفر لأنها تقطع بها . والنعب : جمع نعوب ، والنعبان : تحريك الناقة رأسها فى السير ، وذلك من النشاط » .

(٣) م « تخديدا تجلله كالسيف » يقال تخدد لحم الرجل : إذا هزل فصارت فيه طرائق ، وأصل ذلك من الخد ، وهو حفر مستطيل فى الأرض . لا يزدرى : لا يحتقر . وشطب السيف : طرائقه التى فيه .

(٤) ديوان البحترى ٦٥٨ ، ٢ / ٦٩٤ والأين : التعب .

فأما قيس بن زُهَير العَبْسى فإن بنى بَدْرٍ الفَزَارِيِّينَ قَتلوا أخاه مالكًا فنشبت الحرب بين عَبْسٍ وذُبْيَان ابنى[١] بغيض.

وكان سبب ذلك رِهَانُ دَاحِس والغَبْرَاءُ فَقتل قيسٌ حُذَيفَة بن بَدْر وحَمَل ابن بَدْر وغيرهما. ودامت[٢] الحرب بينهما دهرًا طويلا حتى كادوا يفنون.

وتشاءمت العرب بقيس، وكان سيدًا حكيمًا أريبًا حليمًا. فقال: لا أقم ببلاد قَتَلْتُ بها سادات قومى ولم أحلم، ولم أُقارِب، ولم أصلح فقال:

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتًا ... عَلَى جفْرِ الهَبَاءَةِ مَا يَرِيمُ[٣]
ولَوْلَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِى ... عَلَيْهِ الدَّهرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
ولكنَّ الفَتَى حَمَلَ بن بَدْرٍ ... بَغَى، والبَغْىُ مَرْتَعُهُ وخِيمُ
أَظُنَّ الحِلْمَ دَلَّ عَلَىَّ قَوْمى ... وقد يُسْتَجْهَل الرَّجُل الحَلِيمُ

ثم خرج ضَارِبًا فى البلاد على وجهه مُتَخَلِّيًا من كل أهل ومال، وصار إلى بعض نواحى عمان فهلك هناك. وله فى هلاكه خبر. فهذه غربة قيس.

* * *

وأما غُرْبَةُ الحارث بن مُضَاض الجُرْهُمىّ فإنه كان سيد جرهم فى زمانه، وكان إلى قومه حجابة بيت الله الحرام بمكة فغلبتهم عليه خزاعة، فخرجوا وتفرقوا فى البلاد.

---

(١) م «ابن» والتصويب من العقد الفريد ٥ / ١٥٠.

(٢) م «فأدامت».

(٣) فى معجم البلدان لياقوت ٣ / ١١٥ «جفر الهباءة؛ اسم بئر بأرض الشربة، قتل بها حذيفه وحمل ابنا بدر الفزاريان، قال قيس بن زهير وهو قتلهما. ثم ذكر البيت الأول». وذكر الأبيات فى «الهباءة» ٨ / ٤٤١ وزاد فى آخرها:

ومارست الرجال ومارسونى / فمعوج على ومستقيم

وزارة المعارف – المكتبات المدرسية

وفى ذلك يقول الحارث :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إِلَى الصَّفَا أَنِيسٌ ولَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ[١]
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فأَزَالَنَا صُرُوفُ الليالى والجُدُودُ العَوَاثِرُ

ويقال : بل قائل هذه الأبيات بَكْر بن غَالِب بن الحَارِث بن مُضَاض .

* * *

فأَما فَتَكَةُ البَرَّاض ، فهو برَّاضُ بن قَيْس بن رَافِع الكِنَانِى ، أحد بنى مالك بن كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إِلْيَاس. وفتكته كانت بِعُرْوَة[٢] الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر بن كِلَاب ، وكانت من أجله وقعة « الفِجَار العُظْمَى »[٣] .

وسبب ذلك أن البَرَّاضَ [و] كان رجلا شريرًا فاتكًا ـ صار إلى النُّعْمَان بن المُنْذِر . ولما حضر الموسم جهز اللَّطِيمَةَ إلى « سوق عُكَاظ. » ، وهى من كُلِّ المَتَاع ، ولا يقال [لها] لطيمة إلا إذا كان فيها مسك وطيب ، فقال النُّعْمَان : مَنْ يُجِيزُها ؟ قال البَرَّاضُ : أنا أجيزها على قومى بنى كِنَانَة (قال : وعلى العرب أجمعين[٤]) قال البراض : وعلى بنى كنانة . قال نعم ، على العرب والعجم ، وعلى الجن والإنس. فسار فيها عروة ، وأتبعه البراض حتى إذا كان بذى طلال قريبًا من خيبر حَمَلَ عليه فقتله ، وكانت الحَرْب .

---

(١) له فى اللسان ١٦ / ٢٦٤ ولعمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض فى سيرة ابن هشام ١/ ١٢٠.

(٢) م « لعروة الرجال بن عمه » .

(٣) العقد الفريد ٥ / ٢٥٣ .

(٤) كذا فى الأصل وفى العقد : « بن كنانة . فقال النعمان : ما أريد إلا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحال . وهو يومئذ رجل هوازن : أكلب خليع يجيرها لك ، أبيت اللعن ؟ أنا أجيرها لك على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد وتهامة . فقال البراض : أعلى بنى كنانة تجيرها يا عروة ؟ قال : وعلى الناس كلهم » .

باب

مضت أنواع النسيب[١] كلها . وهذا باب أرسم فيه[٢] الأبواب التى خرجا فيها من النسيب إلى المديح .

اعلم أنهما جميعًا قد تعَمَّلَا فى بعض قصائدهما النسيب ، وصلا به النسيب بالمديح ، وأعرضا فى كثير من أشعارهما عن هذا المعنى ، وابتدآ بالمدح منقطعًا عما قبله . وكلا الوجهين قد فعله شعراءُ الجاهلية والإسلام . وكانوا كثيرًا ما يقولون إذا فرغوا من النسيب وأرادوا المدح أو غيره من الأغراض : « فَدَعْ ذَا » . فتجنبها المتأخرون واستقبحوها ، وكذلك قولهم : « فَعدِّ عَنْ ذَا » . وهى عندهم أحسن .

فمما قطعه أبو تمام مما قبله :

هُنَّ الحَمَامُ فإنْ كَسَرْتَ عِيَافَةً ... مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ[٣]

ثم خرج إلى المدح فقال :

اللهُ أَكْبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ ... فَتَعَثَّرَتْ فى كُنْهِهِ الأَوْهَامُ

وقال :

حَلَّمْتَنِى زَعَمْتُمُ ، وَأَرَانِى ... قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمَا[٤]

---

(١) فى الأصل الشيب .

(٢) م « فيها » .

(٣) ديوان أبى تمام ٢٧٩ .

(٤) ديوانه ٢٩١ ، وفى م « وزعمتم » ومضى فى ص ١٩٧ .

ثم قال :

مَنْ رَأَى بَارِقًا سُرى صَامِتِيًّا جَادَ نَجْدًا سُهُولها والحُزونَا

وقال :

أَوَمَا رَأَتْ بُرْدَىَّ مِنْ نَسْجِ الصِّبَا وَرَأَتْ خِضَابَ اللهِ وهْوَ خِضَابِى(١)

ثم قال :

لَا جُودَ فى الأَقْوَامِ يُعْلَمُ مَا خَلَا جُودًا حَلِيفًا فى بَنِى عَتَّابِ

وقال :

لَوْ رَأَى اللهُ أَنَّ فى الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الأَبْرَارُ فى الخُلْدِ شِيبَا(٢)

ثم قال :

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِى صُرُوفُ اللَّيَالِى خُلُقًا مِنْ أَبِى سَعِيدٍ غَرِيبَا(٣)

وقال :

كَأَنَّ لَهُ دَيْنًا عَلَى كُلِّ مَشْرِقٍ مِنَ الأَرْضِ، أَوْتِرًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبِ(٤)

ثم قال :

رَأَيْتُ لِعيَّاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ لِتَكْمُلَ إِلَّا فى اللُّبَابِ المُهَذَّبِ

وقال :

حَلَتْ نُطَفٌ مِنْهَا لِنِكْسٍ، وذُو الحجا يُدَافُ لَهُ سُمٌّ مِنَ العَيْشِ مُنْقَعُ(٥)

---

(١) ديوان أبى تمام ١٩ وشرح التبريزى ١ / ٨٣ .

(٢) ديوانه ٢٦ وشرح التبريزى ١ / ١٦٨ .

(٣) ويروى : « رغيباً » و « عجيباً » .

(٤) ديوانه ٢٤ وشرح التبريزى ١ / ١٥٩ .

(٥) ديوانه ١٩٠ وشرح التبريزى ٢ / ٣٢٥ .

رفع المسهم

ثم قال :

لَقَدْ آسَفَ الأَعْدَاءَ مَجْدُ ابن يُوسُفٍ وذُ النَّقْصِ فى الدُّنْيَا بِذِى الفَضْلِ مُولَعُ

وقال :

فَلَمْ تَرْحَلْ كَنَاجِيَةِ المَهَارَى ولم تُرْكِبْ هُمومَكَ كالزِّمَاعِ[1]

ثم قال :

بمَهْدِيٍّ بن أَصْرَمَ عَادَ عُودِى إلى إيرَاقِهِ ، وَامْتَدَّ بَارِعى

* * *

ومن ذلك قول البحترى :

تَوَهَّمْتُها أَلْوَى بِأَجْفَانِهَا الكَرَى كَرَى النَّوْمِ ، أَوْمَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الخَمْرُ[2]

ثم قال :

لَعَمْرُكَ ما الدُّنْيَا بِنَاقِصَةِ الجَدَا إِذَا بَقِىَ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ والقَطْرُ

وقال :

وَمَنْ يطَّلِعْ شَرَفَ الأَرْبِعِينَ يُلَاقِ مِنَ الشَّيْبِ زَوْرًا غَرِيبَا[3]

ثم قال :

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَد تَرَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيبَا

وقال :

تَأْبَى رُبَاهُ أَنْ تُجِيبَ ولَمْ يَكُنْ مُسْتَخْبِرٌ لِيُجِيبَ حَتَّى يَفْهَمَا[4]

---

(١) ديوان أبى تمام ١٩٣ وشرح التبريزى ٢ / ٣٣٨ وفى م « هموما » .

(٢) ديوان البحترى ٨٦ ، ٢ / ٨٤٤ دار المعارف .

(٣) ديوانه ٩٢ ، ١ / ١٥٠ دار المعارف « يحيى من الشيب . . . » .

(٤) ديوانه ٢٢٩ ، ٣ / ١٩٥٩ .

ثم قال :

اللهُ جَارُ بَنِى المُدَبرِ كُلَّمَا ذُكِرَ المَكَارِمُ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا(١)

وقال :

وَكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْلِ عِنْدِى جَمِيلَةٍ وللصُّبحِ من خَطْبٍ تُذَمُّ غَوَائِلُهْ(٢)

ثم قال :

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمُعْلِى إِلَى المَجْدِ طرْفَهُ دَعِ المَجْدَ فَالفَتْحُ بن خَاقَانَ شَاغِلُهْ(٣)

وقال فى وصف الغيث :

فَصَاغَ مَا صَاغَ مِنْ حَلْى وَمِنْ حُلَل مَا يُمْتعُ الْعَيْنَ مِنْ وَشْيٍ ودِيبَاجِ(٤)

ثم قال :

إِلَى عَلِىٍّ بَنِى الفَيَّاضِ بَلَّغَنِى سُرَاىَ مِنْ حَيْثُ لا يُسْرَى وإِدْلَاجِى(٥)

وقال :

مَا كَانَ هَجْرُكَ مَكْرُوهًا أُحَاذِرُهُ ولَا وِصَالُكِ مَعْرُوفًا أُرَجِّيهِ(٦)

ثم قال :

بَنُو ثَوَابَةَ أَقْمَارٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَلبَثِ اللَّيْلُ أَنْ يَنْجَابَ دَاجِيهِ

---

(١) فى ديوان البحترى ٤ / ١٩٥٩ « ذكر الأكارم »

(٢) ديوان البحترى ٥٢ ، ٣ / ١٦١٢ « عندى حميدة » .

(٣) فى الديوان ٥٢ « طوقه » .

(٤) ديوانه ٣٨٧ ، ١ / ٤١١ « ما صاغ من تبر ومن ورق وحاك ما حاك » .

(٥) م « لا تسرى » .

(٦) ديوانه ١٧٥ ، ٤٠ / ٢٤٢٣ .

رفع المسيهما

وقال :

أَمِيلُ بِقَلْبِى عَنْكِ ثُمَّ أَرُدُّهُ وأَعْذُرُ نَفْسِى فِيكِ ثُمَّ أَلُومُهَا[١]

ثم قال :

إِذَا المُهْتَدِى بِاللهِ عُدَّتْ خِلَالُهُ حَسِبْتَ سَمَاءً كَاثَرَتْكَ نُجُومُهَا[٢]

وقال :

وهَلْ هِىَ إِلَّا لَوْعَةٌ مُسْتَسِرَّةٌ يُذِيبُ الحَشا والْقَلْبَ وَجْدًا غَلِيلُها[٣]

ثم قال :

وَلَوْلَا مَعَالِى أَحْمَدَ بن مُحَمَّدٍ لَأَضْحَتْ دِيَارُ الحَمْدِ وَحْشًا طُلُولُها[٤]

فهذا الجنس من الخروج إلى المدح هو الأعم فى أشعارهما .

* * *

وأما الوجه الذى يجعلون[٥] له سببًا يَصِلُ النسيب بالمدح فعلى معانى شتى :

منها الخروج بذكر وَصْفِ الإبلِ والمَهَامِهِ إلى الممدوح . وهذا المعنى عام كثير فى أشعار الناس .

فمن ذلك قول أبى تمام :

يُصَبِّرُنِى إِنْ ضِقْتُ ذَرْعًا بِحُبِّهِ وَيَجْزَعُ أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ خَلَاخِلُهْ[٦]

---

(١) ديوان البحترى ١٠٧ ، ٣ / ٢٠٢٣ .

(٢) فى الديوان « مسيت السماء » .

(٣) ديوانه ٣ / ١٧٧٩ طبع المعارف .

(٤) هو أحمد بن محمد بن بسطام المتوفى سنة ٢٩٧ هـ

(٥) م « يجعلوا له » .

(٦) ديوان أبى تمام ٢٣٠ « يعنفنى . . ذرعا يحبه » فى شرح التبريزى ٣ / ٢٤ « ذرعا بنأيه » .

ثم خرج إلى مدح المعتصم فقال :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَتَى ... عَلَيْهَا المَلَا أَدْمَاثُهُ وَجَرَاوِلُهْ[1]

نَصَرْنَ السُّرى بالوخْدِ فى كُلِّ صَحْصَحٍ ... وَبِالسُّهُدِ المَوْصُولِ والنَّومُ خَاذِلُهْ[2]

رَوَاحِلُنَا قَدْ بَزَّنَا الهَمُّ أَمْرَهَا ... إلى أَنْ حَسِبْنَا أَنَّهُنَّ رَوَاحِلُهْ

إِذَا خَلَعُ الليلُ النَّهارَ رَأَيْتَها ... بِإِرْقَالِهَا فى كُلِّ وَجْهٍ تُقَابِلُهْ[3]

إلى قُطُبِ الدُّنْيَا الذى لَوْ بِمَدْحِهِ ... مَدَحْتُ بَنِى الدُّنيا كَفَتْهُمْ فَضَائِلُهْ

المَلَا - المقصور - : المُتَّسَعُ من الأَرض .

والأَدْمَاث : جمع دَمْث وهى الأَرض اللينة .

والجَرَاول : جمع جَرْوَل ، وهى [الأَرض] الخشنة ذات الحجارة .

ومنه قول أَبى تمام أَيضًا :

اليومَ يُسْلِيكَ عَنْ طَيْفٍ أَلَمَّ وَعَنْ ... بِلَى الرُّسُومِ بَلَاءُ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ[4]

مِنَ القِلَاصِ اللَّواتِى فِى حَقَائِبِهَا ... بِضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِنَ الكَلِمِ

إِذَا بَلَغْنَ أَبَا كُلْثُومٍ اتَّصَلَتْ ... تِلْكَ المُنَى وأَخَذْنَ الحَاجَ مِنْ أَمَمِ

ومن ذلك قوله :

سَيَبْتَعِثُ الرِّكَابِ وَرَاكِبِيها ... فَتًى كالسَّيْفِ هَجْعَتُهُ غِرَارُ[5]

---

(١) فى الديوان وشرحه « أتتك أمير » وفى م « عليها المدى » .

(٢) م « نصرت » .

(٣) قال الصولى فيما نقل التبريزى « يقول : تجد فى السير إذا أقبل الليل كأنها تقابله ؛ لأن سير النهار أحب إليها . و « تقابله » بالباء يدل على أن سير الليل أحب إليها بجدها فى الإرقال » .

(٤) ديوانه ٢٦٨ وشرح التبريزى ٣ / ١٨٦ وفى م : « يسلبك » .

(٥) ديوانه ١٤١ وشرح التبريزى ٢ / ١٥٥ .

أَطَلَّ عَلَى طُلَى الآفَاقِ حَتَّى كَأَنَّ الأَرْضَ فى عَيْنَيْه دَارُ[١]
تَؤُمّ أَبَا الحُسَيْنِ وكَانَ قِدْمًا فَتًى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ

وقوله :

وَبِسَاطٍ كَأَنَّمَا الآلُ فِيهِ وعَلَيْهِ سَحْقُ المُلَاءِ الرَّحِيضُ[٢]
يُصْبِحُ الدَّاعِرِىُّ ذُو المِرَّةِ المِرْ جَمُ فِيهِ كأَنَّهُ مَأْبُوضُ[٣]
قَدْ فَضَضْنَا مِنْ بِيدِهِ خَاتَمَ الخَوْ فِ ، وَمَا كُلُّ خَاتَمٍ مَفْضُوض
بِالمَهَارَى يَجُلْنَ فِيهِ وقَدْ جَا لَتْ عَلَى مُسْتَمَاتِهِنَّ الغُرُوضُ[٤]
جَازِعَاتٍ سُودَ المَهَامِهِ تَهْدِيـ ـهَا وُجُوهٌ لِمَكْرُمَاتِكَ بِيضُ[٥]

وقوله :

فَاطْلُبْ هُدُوًّا بِالتَّقَلْقُلِ وَاسْتَثِرْ بالعِيسِ مِنْ تَحْتِ السُّهادِ هُجُودَا[٦]
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ عَلَى عَلَلِ السُّرَى وَخْدًا يَبِيتُ النَّوْمُ مِنْهُ شَرِيدَا
تَخْدِى بِمنْصَلت يَظَلُّ إِذَا وَنَى ضُرَبَاؤُهُ حِلْسًا لَهَا وقُتُودَا

---

(١) فى الديوان وشرحه « على كل » .

(٢) ديوانه ١٨٢ وشرح التبريزى ٢ / ٢٩٠ البساط : الأرض الواسعة . والسحق : البالى . ويروى : « السحل » وهو الثوب الأبيض . والرحيض : المغسول .

(٣) « الداعرى » : الفحل من الإبل . والمرة : القوة ، ويروى « ذو الميعة » وهى النشاط . والمرجم : الذى يرمى بنفسه الأشياء كأنه يرجمها . والمأبوض : الذى عليه إباض ، وهو حبل يشد فى مأبض البعير . وهو باطن الركبة .

(٤) المسمات : الإبل العظام الأسنمة . يقول : هذه الإبل قد ذهب لحمها فجالت غروضها لأجل ذلك .

(٥) جازعات : من جزع الوادى إذا قطعه . وعنى بالسود الليالى . ويروى « سود المروراة » والمروراة : الأرض التى لا شىء بها . أى هؤلاء القوم يسرون بالليالى السود بالمروراة .

(٦) ديوانه ٨٧ وشرح التبريزى ١ / ٤١٦ .

رفع المسيهما

جَعَلَ الدُّجَى سِتْرًا ووَدَّعَ رَاضِيًا بالهُونِ يَتَّخِذُ القُعُودَ قَعُودَا[١]

طلَبَتْ رَبيعَ رَبِيعَةَ المُمْهَى لَهَا وَوَرَدْنَ ظِلَّ رِوَاقِهِ المَمْدُودَا[٢]

قوله : «فاطْلُبْ هُدُوًّا فى التَّقَلْقُلِ» من قول عُرْوَةَ بن الوَرْد :

* ولم تدر أنى للمقام أطوِّف *

وقوله : «المُمْهَى لَهَا» أى الذى أُكْثِرَتْ مِيَاهُهُ . ويروى «المُمْهِى» لها أى الذى يُكْثِر لها الماء . وليس يريد الماء بعينه ، وإنما يريد الخِصب والسَّعة لأنه بالماء يكون .

وهذا الخروج كله جيد بالغ .

وله على هذا الوجه خروجات رديئة ومتوسطة لم أذكرها . ومنها قوله :

دَعْ عَنْكَ هَذَا إذَا انْتَقَلْتَ إلى الْـ مَدْحِ وَشُبْ سَهْلَهُ بِمُقْتَضَبِهْ[٣]

فالسَّهل : ما يأتيه به خاطره عَفْوًا من غير فكر ولا طلب .

والمُقْتَضَبُ ما يقتطعه خاطِرُه اقتطاعًا بالفكر والتَّعب ، ويقال : ناقة قَضِيبٌ ، وهى التى رِيضَتْ ولم تُذَلَّ كل الذُّل لِلحَمْلِ والرُّكوب .

فأما قول البحترى لإبراهيم بن المدبر[٤] فى عِتَابٍ حُلْوٍ :

دعْ ذَا وأَخْبِرْنِى بِشَأْنِ صَدِيقِنَا بِشْرٍ وهَلْ يُرْضَى لِبِشْرٍ شَانُ[٥]

---

(١) سبقت روايته «الدجى جملا» .

(٢) ويروى : «فتفيأت ظلالها الممدودا» و «فوردن ظل ربيعة المهودا» .

(٣) ديوانه ٥٢ وشرح التبريزى ١ / ٢٧٥ .

(٤) م «المدبر بن عتاب» .

(٥) لعله بشر بن الفرج الذى مازحه بأبيات ختمها بقوله : «يحب الدناءة حب الوطن» راجع ديوانه طبع مصر ٢ / ٣٠١ .

فإنَّ «دَعْ» ها هنا حسنة ، وليست مثلها فى الخروج من النسيب إلى المدح .

ثم قال أبو تمام هو قوله : «دَعْ عَنْكَ هذا» :

لَسْتُ مِنَ العِيسِ أَوْ أُكَلِّفُهَا وَخْدًا يُدَاوِى المَرِيضَ مِنْ وَصَبِهْ[1]

إلى المُصَفّى مَجْدًا أَبِى الحَسَنِ اَنْ صَعْنَ اَنْصِيَاعَ الكُدْرِىِّ فى قَرَبِهْ[2]

قوله : «يُدَاوِى المَرِيضَ» ، يعنى المريض فى حاله لا فى جسمه ؛ لأنه يُدْنِيهِ من الغنى .

والانْصِيَاعُ : الانحراف فى السير من النَّشاط والسّرعة . والكُدْرِىّ القَطَا . يعنى إذا جنحت فى الطيران وانحرفت نشيطة مسرعة .

* * *

ومن هذا الباب قول البحترى :

فالعِيسُ تَرْمِى بِأَيْدِيهَا عَلَى عَجَلٍ فى مَهْمَهٍ مِثْل ظَهْرِ التُّرْسِ رَحْرَاحِ[3]

نهْدِى إلى الفَتْحِ ـ والنُّعْمَى بِذَاكَ لَهُ مَدْحًا يُقَصِّرُ عَنْه كُلُّ مَدَّاحِ[4]

وقوله :

سيَحْمِلُ هَمِّى عَنْ قَرِيبٍ وهِمَّتِى قِرَى كُلِّ ذَيَّالٍ جُلالٍ جَلَنْفَعِ[5]

---

(١) الذى بعده فى الديوان وشرحه :

إنى لذو ميسم يلوح على صعود هذا الكلام أو حببه

وقال التبريزى : لست من العيس : أى لست صاحبها حتى أكلفها سيراً يشفى صدر المهموم ويذهب عدم الفقير . والوصب : الوجع ، أخذه من قول القطامى :

وسارت سيرة ترضيك منها يكاد وسيجها يشفى الصداعا

(٢) فى قربه ، أى فى طلبه للماء ، ومنه ليلة القرب وهى التى يصبحون منها على الماء .

(٣) ديوان البحترى ٥٨ ، ١ / ٤٤٣ .

(٤) م « تهدى . . بذلك له » .

(٥) ديوانه ٨٩ ، ٢ / ١٢٣٨ ، والقرا : الظهر ، والذيال : طويل الذيل ، والجلال : الضخم . وقال أبو العلاء المعرى : ووصفه الجمل بذيال قلما يستعمل ، إنما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشى . والجلنفع : الغليظ الشديد وإنما توصف به الإبل ، وربما استعملوه فى الظلم ، والأنثى جلنفعة . راجع عبث الوليد ١٣٣ .

رفع المسهم

يُنَاهِبْنَ أَجْوَازَ الفَيَافِى بِأَرْجُلٍ عِجَالٍ إِلَى طَىِّ الفَيَافِى وأَذْرُعِ[١]
مَتَى تَبْلُغِ الفَتحُ بنَ خَاقَانَ لا تُنِخْ بِضَنْكٍ ، ولا تَفْزَع إِلَى غَيْرِ مَفْزَع

الجَلَنْفَع : المتناهى فى سنِّه وقوّته[٢].

«يُنَاهِبْنَ أَجْوَازَ الفَيافى. . .» بيت فى غاية الحسن ، وجودة اللفظ .

وقول البحترى أيضًا :

ولَقَدْ تَعَسَّفْتُ الأُمورَ وصَاحِبِى حَزْمٌ يَلُفُّ حُزُونَها بِسُهُولِها[٣]
ونَشَرْتُ أَرْدِيَةَ الصِّبَا وطَوَيْتُهَا بالعِيسِ بَيْنَ وَجِيفِها وذَمِيلِها[٤]
شَامَتْ بُرُوقَ سَحَابَةٍ قُرَشِيَّةٍ غَرِقتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ بَيْنَ سُيُولِهَا[٥]

وقوله :

وإِذَا اسْتَصْعَبَتْ مَقَادَةُ أَمرٍ سهَّلَتْهَا أَيْدِى المَهَارَى القُودِ[٦]
حَامِلَاتٌ وَفْدَ الثنَاءِ إِلَى أَبْـ لَجَ صَبٍّ إِلَى ثَنَاءِ الوُفُودِ
عَلِقُوا مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ حَبْلٍ لِرُوَاقِ الخِلَافَةِ المَمْدُودِ[٧]

وقوله :

تَشَكَّى الوَجَى واللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدُّجَى غُرَيْرِيَّةُ الأَنْسَابِ مَرْتٌ بَقِيعُها[٨]

---

(١) م « أجواد الفيافى » .
(٢) وكان خليقاً بالآمدى أن يزيد بعد ذلك : وهى كلمة فى غاية السخف .
(٣) ديوان البحترى ٣٤٥ ، ٣ / ١٧٧١ .
(٤) م فى الديوان « أردية الدجى . . . والعيس » .
(٥) فى الديوان : « بين سهولها » .
(٦) ديوانه ٦٩٢ ، ١ / ٦٣٤ والمهارى القود : الإبل الطويلة الأعناق .
(٧) يقصد محمد بن عبد الملك الزيات .
(٨) ديوانه ٥ ، ١٢٩٧ وإعجاز القرآن ٩١ وعبث الوليد ١٣١ والوجى : أن يشتكى البعير باطن خفه . ومكان مرت : قفر لا نبات فيه . والبقيع من الأرض . المكان المتسع فيه أروم شجر من ضروب شتى .

وَلَسْتُ بِزَوَّارِ المُلُوكِ عَلَى الوَنَى ... لَئِنْ لَمْ تَجُلْ أَغْرَاضُهَا ونُسُوعُهَا[١]
تَؤُمُّ القُصُورَ البِيضَ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ ... بِحَيْثُ تَلَاقَى غَرْدُها وَبَدِيعُها[٢]
إِذَا أَشْرَفَ البُرْجُ المُطِلُّ رَمَيْنَهُ ... بِأَبْصَارِ خُوصٍ قَدْ أَرَنَّتْ قُطُوعُها[٣]
يُضِيءُ لَهَا قَصْدَ السُّرَى لَمَعَانُهُ ... إِذَا اسْوَدَّ مِنْ ظَلْمَاءِ لَيْلٍ هَزِيعُها
نَزُورُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ودُونَهُ ... سُهُوبُ البِلَادِ رَحْبُهَا ووَسِيعُها

وهذه ألفاظ ومعان فى غاية الصِّحة والحسن ، وكَثْرَةِ الماءِ .

وقوله : « عُرَيْرِيَّةُ » منسوبة إلى فَحْل من فحول الإبل مذكور يقال له : غُرَير .

وغَرْدُها وبديعها : قصران .

* * *

وقال فى ابن المدبّر :

إِنَّنِى لَاجِئٌ إِلَى عَزَمَاتٍ ... مُعْدِيَاتٍ عَلَى طَرِيقِ الهُمُومِ[٤]
يَتَلَاعَبْنَ بِالفَيَافِى ويُودِيـ ... ـنَ بِنِقْيِ المُسَوَّمَاتِ الكُومِ[٥]
التَّرَامِى بَعْدَ الوَجِيفِ إِذَا اسْتُوْ ... نِفَ خَرْقٌ ، والوَخْدُ بعد الرسيمِ[٦]
كُلُّ مَهْزُوزَةِ المِقَذَّيْنِ تَلْقَى ... رَوْحَةَ الجَأْبِ خَلْفَهَا والظَّلِيمِ[٧]

---

(١) فى الديوان : « على الوجى » والأغراض : جمع غرض ، وهو حزام الرحل والنسوع : جمع نسع ، وهو سير مضفور تشد به الرحال .

(٢) فى الديوان « غربها وبديعها » .

(٣) البرج : قصر للمتوكل مكث به ثلاثة أيام فهم ، فأمر بهدمه . والخوص : غؤور العين . أرنت : أخلقت وبليت . والقطوع : جمع قطع بكسر القاف ، وهو الطنفسة تحت الرحل على كتفى البعير .

(٤) ديوان البحترى ٥٩٤ ، ٤ / ٢١٢٢ « على طروق » .

(٥) النقى : مخ العظام وشحمها ، كما فى اللسان ٢٠ / ٢١٤ .

(٦) فى الديوان « بعد الوجيفة . . » وفى طبعة المعارف « قبل الرسيم » .

(٧) قال ناشر الديوان فى شرحه « المقذين : مثنى مقذ ، وهو آلة ، من قذ السهم : ألصق به الريش » وهو خطأ محض . والصواب ما قاله الآمدى . وفى طبعة المعارف « تلقى » .

جُنَّحًا كالسِّمَامِ يَحْمِلْنَ رَكْبًا طُلَّحًا مِنْ ضُئُولَةٍ وسُهُومِ[١]
مَالَهُمْ عَرْجَةٌ وإنْ نَأَت الشُّقْـ ـقَةُ دُونَ الأَغَرِّ إبْرَاهِيمِ[٢]

قوله : «مَهْزُوزَةُ المِقَذَّيْنِ» ، فَالمِقَذَّانِ : أُصول الأُذُنَيْن . وإنما يريد حركة رأسها عند السير ، وما أكثر ما تصف العربُ ذلك .

وقوله : «تَلْقَى رَوْحَةَ الجَأْبِ» إذا سارت مع حمار الوحش ، والظليم ، وهو ذكر النعام ، فوصلت غُدْوَةً — وَصَلَا بعدها عَشِيًّا . يصفها بالسرعة والقوة عا السير .

والسِّمَامُ[٣] : جنس من الطير .

وجَنَّحَ يُجَنِّح فى طيرانه ، أى يميل من النَّشاط على أحد جناحيه وكذلك تفعل كرائم[٤] الإبل تتصرف فى سيرها .

وقوله :

قَدْ أَقْذِفُ العِيسَ فى لَيْلٍ كأَنَّ لَهُ وَشْيًا مِنَ النَّوْرِ ، أَوْ أَرْضًا مِنَ العُشُبِ[٥]
حتَّى إذَا مَا انْجَلَتْ أُخْرَاهُ عَن أُفُقٍ مُضَمخٌّ بالصَّبَاحِ الوَرْدِ مُخْتَضَبِ
أَوْرَدْتُ صَادِيَةَ الآمَالِ فانْصَرَفَتْ عَنِّى بِهَا ، وَأَخَذْتُ النُّجْحَ مِنْ كَثَبِ[٦]

---

(١) م « جنحا كالسما » وهو تحريف ، وفى الديوان « كالسهام . . من سآمة وسهوم » .
(٢) فى الديوان « غير الأغر » .
(٣) م « والشمام » .
(٤) م « جرايم الإبل » !
(٥) ديوانه ٤٩٩ ، ١ / ١١٩ .
(٦) فى الديوان « فانصرفت بريها وأخذت » .

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ إِسْمَاعِيلَ فِى تَعَبٍ مِنَ الْعُلَا ، والعُلَا مِنْهُنَّ فِى تَعَبِ[1]

أَراد أَوردت[2] صادية الآمال بها أى بالعيس فانصرف عنى[3] الامال الصادية ، وهى العِطَاشُ ، وأَخذتُ النُّجْحَ مِنْ كَثَبٍ ، أى من قُرْب .

وقوله : « فى لَيْلٍ كأَنَّ لَهُ وَشْيًا من النور » [أى] فى ليلٍ شديدِ الظُّلْمَةِ ، فإذا اشتدت ظُلْمَتُهُ أشرقت كواكبُهُ ما صغر منها و [ما] كبر . وأحسَنُ ما تكون السماء إذا كانت هذه حالها .

وإلى هذا المعنى ذهب ذُو الرُّمَّةِ فى قوله :

ولَيْلٍ كَجِلْبَابِ العَرُوسِ أَدَّرَعْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ ، والشَّخْصُ فى العَيْنِ وَاحِدُ[4]

أراد الحلى الذى [على] جِلْبَابها . شبّه الليل به فى حسن نُجُومِه . وإنما يريد أنه أَدَّرَعَ ليلًا شديد الظلمة ، مُضِىء الكواكب .

* * *

وفى شدّة ظلمة الليل يقول البحترى أيضًا :

واللَّيْلُ فى صِبْغِ الغُراب كأَنَّمَا هُوَ فى حُلُوكَتِهِ وإِنْ لَمْ يَتْعَبِ[5]
حَتَّى تَجَلَّى الصُّبْحَ مِن جَنَبَاتِهِ كالماءِ يَلْمَعُ فى خِلَالِ الطُّحْلُبِ[6]

وهذا معنًى ما سمعت فى شعرٍ قديم ولا محدث أحسن ولا أروع منه .

---

(١) يقصد الوزير إسماعيل بن بلبل .
(٢) م « أراد أو ردت بمعنى أو ردت » .
(٣) م « فانصرفت حتى الآمال » .
(٤) ديوان ذى الرمة ٢٩ وديوان المعانى ١ / ٣٤٢ والصناعتين ٢٣٣ وأخبار أبى تمام ٨٣ وأمالى المرتضى ١ / ٥٤٨ .
(٥) ديوان البحترى ٦٠١ ، ١ / ٨٠ « فى لون الغراب كأنه » .
(٦) فى الديوان « فى جنباته . . . يلمع من وراء » .

ثم قال :

والعِيسُ تَنْصُلُ مِنْ دُجَاهُ كَمَا انْجَلَى ... صِبْغُ الشَّبَاب عَنِ القَذَالِ الأَشْيَبِ(١)

يَطْلُبْنَ مُجْتَمَع العُلَا مِنْ وَائلٍ ... فى ذلك الأَصْل الزَّكِيّ الطَّيِّبِ(٢)

* * *

وقال البحترى :

سَوْفَ أُعْطى السُّلَوَّ والصَّبْرَ مَا أَمْـ ... ـنَعُ مِنْ طَارِفِ الهَوَى وتَلِيدِ(٣)

بالمَهَارَى يَلْبَسْن ثَوْبًا جَدِيدًا ... مُسْتَفَادًا فى كلِّ وَقْتٍ جَدِيدِ

فَهْىَ طُولَ النَّهَارِ بيضٌ وطُولَ الـ ... ـلَيلِ فى أَقْمُصٍ مِنَ اللَّيل سُودِ

طالباتٌ فى الغيث غيثًا سكُوبًا ... وحميدًا فى آل عبد الحميد(٤)

وقال فى محمد بن على القُمِّىّ :

لَقَدْ عَلِمَتْ عِيدِيَّةُ العِيسِ أَنَّنِى ... أَهُبُّ إِذَا نَامَ الهِدَانُ وأُعْنِقُ(٥)

خرجنا بها فى البِيضِ بِيضًا لَمْ نرالْد ... دَآدِئْ إِلَّا وَهْىَ مِنْهُنَّ أَمْحَقُ(٦)

هَشَمْنَ إِلَى ابْنِ الهَاشِمِيَّةِ أَوْجُهًا ... عَوَابِسَ للظَّلْمَاءِ مَا تَتَطَلَّقُ(٧)

قوله : «خَرَجْنَا بها فى البِيضِ» . يريد فى الليالى البيض ، وهى التى يكون القمر فيها طالعًا من أولها إلى آخرها .

وقوله : «بِيضًا» : يريد الآدَم من الإبل ، وهو الأَبيض ، فإن خالطته

---

(١) هذا البيت مقدم فى الديوان عن البيت الثانى . وما هنا أنسب .

(٢) وفيه : « الأطيب » .

(٣) ديوان البحترى ٢ / ٧٦٩ ، ٣ / ١٤٩٣ - ١٤٩٤ .

(٤) مضت روايته : « غينا سكونا » .

(٥) ديوانه ٥١٨ « أخب إذا » وجاء فى اللسان ١٧ / ٣٢٦ « الهدان : الأحمق الجافى الوخم الثقيل فى الحرب . . . وقيل : الهدان . النوام الذى لا يصلى ولا يبكر فى حاجة » .

(٦) م « خرجت بها » .

(٧) فى الديوان « عوابس للبيداء » .

حمرة فهو أصهب . وأظنه قال هاهنا بيضًا أراد حسنها وصفاءُ ألوانها وسمنها .

والدآدى : هى الليالى فى آخَر الشهر ، وهى مظلمة .

أى لم نصل إليها حتى هزلت مطايانا ، وصارت أَمْحَقَ منها . وإنما جعل الدآدئ ممحقة لأنها آخر الشهر[1].

والهِدَانُ : الرجل البليد الذى ترضيه بالكلمة فيرضى .

* * *

وقال :

وأَرَى المَطَايَا لَا قُصُورَ بها عَنْ لَيْلِ سَامِرَّاءَ تَدَّرِعُهْ[2]
يَطْلُبْنَ عِنْدَ فَتَى رَبِيعَةَ مَا عِنْدَ الرَّبِيع تَخَايَلَتْ بُقَعُهْ

قوله : «تَخَايَلت» . أى صارت مُخِيلَةً للنبات ، ظاهرًا ذلك فيها . أو أن يريد صارت كالخيلان من النبات .

وقال :

كالبُرَى فى البُرَى ويُحْسَبْنَ أَحْيَا نًا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فى النُّسُوعِ[3]
أَبْلَغَتْنَا مُحَمدًا فَحمِدْنَا حُسْنَ ذَاكَ المَرْئِى والمَسْمُوعِ[4]

وقال :

ومَا ثَنَى مُسْتَهَامًا عَنْ صَبَابَتِهِ مِثْلُ الزِّمَاعِ وَوَجْدِ العُرْمُسِ الأُجُدِ[5]

---

(١) فى اللسان ١ / ٦٣ « أبو الهيثم : الثلاث التى بعد المحاق سمين دآدئ ، لأن القمر فيها يدأدئ إلى الغيوب أى يسرع . وقال الأصمعى : فى ليالى الشهر ثلاث محاق ، وثلاث دآدئ . والدآدئ الأواخر وأنشد :

أبدى لنــا غرة وجه بادى كزهــرة النجوم فى الدآدى »

(٢) ديوان البحترى ٢٣٧ ، ٢ / ١٢٤٩ وفى م « لا قصور لها » .

(٣) ديوانه ٤٢١ ، ٢ / ١٢٨٠ .

(٤) يقصد القائد محمد بن يحيى الواثقى .

(٥) ديوانه ٤٢٤ ، ١ / ٥٧٤ والزماع : المضاء فى الأمر والعزم عليه ، والإسراع فى المشى . والوخد : ضرب من سير الإبل سريع . والعرمس : الناقة الصلبة الشديدة . والأجد : الناقة القوية الموثقة الخلق ، ولايقال للجمل : أجد .

رفع المسيهما

إلى أَبِي نَهْشَلٍ ظَلَّتْ رَكَائِبُنَا ... يَحِدْنَ مِنْ بَلَدٍ نَاءٍ إلى بَلَدِ[١] .
إلى فَتَى مُشْرِقِ الأَخْلَاقِ لَوْسُبِكَتْ ... أَخْلَاقُهُ مِنْ شُعَاعِ الشَّمْسِ لم تَزِدِ

وقد جعل البحترى مكان الناقة هاهنا «فرسًا» فقال فى مدح الشَّاهِ بن مِيكَال :

فَتَنَاسَ مَنْ لَمْ تَرْجُ رَجْعَةَ وُدِّهِ ... وَوِصَالِهِ فَتَعَزَّ عَنْ ذِكْرَاهُ[٢]
بِمُجَنَّبٍ رَحْبِ الفُرُوجِ مُشذَّبٍ ... نَابِي القَذَالِ حَدِيدَةٌ أُذُنَاهُ[٣]
ضَافِي السَّبِيبِ مُقَلَّصٍ لم تَنْخَزِلْ ... مِنْه القَطَاةُ ، ولم تَخُنْهُ شظَاهُ[٤]
صافِي الأَدِيمِ كأَنَّ غُرَّةَ وَجْهِهِ ... فِلَقُ الصَّبَاحِ انْجَابَ عَنْهُ دُجَاهُ
يَجْرِى إِذَا جَرَتِ الجِيَادُ عَلَى الوَنَى ... فَيَبَذُّ أُولَى جَرْيِها أُخْرَاهُ
يُدْنِيكَ مِنْ مَلِكٍ أَغَرَّ سَمَيْذَعٍ ... يُدْنِيكَ مِنْ أَقْصَى مُنَاهُ رِضَاهُ[٥]

* * *

وقد خرج أَبو تمام إلى المدح بوصف الخيل أَيضًا فقال :

حَذَوْنَاهَا الوَجَى والأَيْنَ حَتَّى ... تَجَاوَزَتِ الرُّكُوعَ إِلَى السُّجُودِ[٦]
إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الغَمَرَاتِ قُلْنَا : ... خَرَجْتِ حَبَائِسًا إِنْ لَمْ تَعُودِى

---

(١) فى الديوان «يخدين» أبو نهشل : كنية محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسى الطائى .

(٢) ديوان البحترى ٤ / ٢٤٣١ — ٢٤٣٢ طبع المعارف .

(٣) المجنب : المجنوب ، أى المقود . والفرس المشذب : الطويل القليل اللحم . القذال : معقد العذار من الفرس خلف الناصية .

(٤) السبيب : شعر ذنب الفرس . مقلص : طويل القوائم منضم البطن . والقطاة : العجز ، وما بين الوركين أو مقعد الرديف من الفرس . وفى م «شطاه» والشظى : عظم لازق بالذراع . فإذا زال قيل شظى الفرس . وقوله : لم تخنه شظاه ، كقول امرئ القيس : «سليم الشظى» .

(٥) السميذع : السيد الشريف السخى الشجاع . ولعل «مناه» محرفة عن «مناك» ثم رأيتها فى طبعة المعارف «مناك» .

(٦) ديوان أبى تمام ١٠٥ وشرح التبريزى ٢ / ٣٥ «حذوناها : أى جعلنا الوجى لها مثل الأحذية» .

فَكَمْ مِنْ سُؤْدُدٍ أَمْكَنْتِ مِنْهُ بِرُمَّتِهِ عَلَى أَنْ لَمْ تَسُودِى
أَهَانَكِ لِلطِّرَادِ وَلَمْ تَهُونِى عَلَيْهِ ، ولِلْقِيَادِ - أَبُو سَعِيدِ[1]

* * *

وقد جعل البحترى أَيضًا «السفينة» بمكان النَّاقة فقال :

وَرَمَتْ بِنَا سَمْتَ العِرَاقِ أَيَانِقٌ سَحْمُ الخُدُودِ لُغَامُهُنَّ الطُّحْلُبُ[2]
مِنْ كُلِّ طَائِرَةٍ بِخَمْسِ خَوَافِقٍ دُعْجٍ كَمَا ذُعِرَ الظَّلِيمُ المُهْذِبُ[3]
يَحْمِلْنَ كُلَّ مُفَرَّقٍ فى هِمَّةٍ فُضُلٍ يَضِيقُ لها الفَضَاءُ السَّبْسَبُ[4]
رَكِبُوا الفُرَاتَ إلى الفُرَاتِ وأَمَّلُوا نَشْوَانَ يُبْدِعُ فى السَّمَاحِ ويُغْرِبُ[5]

قوله : أَيَانِقٌ جمع أَيْنُق ، وهو جمع نَاقة .

وهذا من المقلوب الذى جاء فى كلامهم ؛ لأَن النون من شأْنها أَن تتقدَّم الياءَ ، فلو جاء على الاستقامة لكان أَنِيق[6] وأَنايِق . وهذا مثل مَلَك ومَلائكَة ، والأَصل مَأْلَك ومَآلِكَة .

وقوله : «سُحْمِ الخُدُودِ» . يريد سَوادَ القَارِ .

ولُغَامُهُنَّ الطُّحْلُب : يريد الخضرة التى تتعلق بالسفن من طوال المُكْثِ فى الماء .

وقوله : «خَمْس خَوَافِق» . يريد أَربعة مجاديف ،وسكان ، أَو قائم الشِّراع .

ودُعْجٌ : سَواد القَار أَيضًا .

---

(١) أبو سعيد : محمد بن يوسف الطائى .
(٢) ديوان البحترى ٦٨٢ ، ١ / ٧٣ ولغام البعير : زبده .
(٣) فى الديوان « يضيق بها » .
(٤) فيه « وأملوا جذلان » .
(٥) م « لكان أينق » .

وقوله : « كما ذُعِر الظَّلِيمُ » يريد سرعةَ السفن. وانْبِعَاثَها كما يَنْبَعِثُ الظليم ويَجْفُل إذا فَزِع .

والإِهْذَابُ : السُّرْعَة .

وقوله : «يَحْمِلْنَ كلَّ مُفَرَّقٍ » . أى مُتَقَسِّم . فى هِمَّةٍ فُضُلٍ . أى همة واحدة . يضيق لها الفضاءُ لِعِظَمِهَا وسَعَتِها .

والفُضُلُ : الثوب الواحد الذى يقتصر[1] عليه الرجل والمرأة ويبتَذِلُهُ للأعمال . قال امرؤُ القيس :

* لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ[2] *

وأظن البحترى أراد بقوله : «فُضُل » . أى همّة واحدة[3] . وجُّهُوهَا[4] إليك دُون مَنْ سِوَاكَ ، وجعلها عظيمة على قدر الممدوح . أى اتسعت الهمَّة فيك وعظمت ؛ قد تقسمته وصار لا فضل فيه لغيرها .

وهذه أبيات حسان .

* * *

---

(١) م « يعتسر » .

(٢) بقية البيت كما فى ديوان امرئ القيس ١٣١ :

« وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل»

(٣) لقد أغرب الآمدى فى ظنه فوقع بعيداً عن مراد الشاعر القريب الواضح . وبيان ذلك : أن الهمة : واحدة الهمم ، وهى ما يهم به الإنسان من أمر ليفعله ، وهى توصف بالصغر والعظم ، فيقال : إنه لصغير الهمة ، وإنه لعظيم الهمة بعيدها . وإن همته لزائدة . وهذا المعنى هو الذى أراغ إليه البحترى . فمعنى قوله : « فضل : أى زيادة . يريد أن هذه السفن تحمل أناساً قد فرقتهم فى البلاد : مطوفين فى الآفاق بسبب ما انطوت عليه صدورهم من هم عظيمة بعيدة المدى يضيق بها الفضاء الفسيح . فقول الآمدى : « فى همة فضل أى همة واحدة» خطأ محض ، لأن المعنى الذى قصد إثباته من كلمة « فضل » وتجشم الاستشهاد عليه بقول امرئ القيس «لم تنتطق عن تفضل » — قد تكفل به ببيت البحترى الثانى الذى يقول فيه : إن جميع هؤلاء الذين قد فرقتهم همهم وأزعجتهم عن أهلهم وأوطانهم قد ركبوا الفرات إلى الفرات الذى يلذ له الإبداع فى السماح ويسكره الإغراب فيه .

(٤) م « وجهوها إليك » .

وقد قال أبو تمام فى « السفينة » والمسير فيها إلى الممدوح فى قصيدة أوّلها :

دَنِفٌ بَكَى آياتِ رَبْع مُدْنَفِ لَوْلَا نَسِيمُ تُرَابِهِ لَمْ يُعْرَفِ(١)

أَبْياتًا رديئة جدًّا لم أكتبها(٢) .

والجيد النادر فى وصف السفينة قول بَشَّار يذكر مَسِيرَهُ إلى المَهْدِى :

وعَذْرَاءَ لا تَجْرِى بلَحْمٍ ولا دَمٍ قليلة شَكْوَى الأَيْنِ ، مُلْجَمَةِ الدَّبْرِ(٣)
إذا طَعَنَتْ فيها القَبُولُ تَشَمَّصَتْ بِفُرْسَانِها لا فى وُعُوثٍ ولا وَعْرِ(٤)
وإنْ قَصَدَتْ مَرَّتْ عَلَى مُتَنَصِّب ذَلِيلِ القَرَا لا شَىْءَ يَفْرِى كَمَا يَفْرِى(٥)
تُلَاعِبُ نِينَانِ البُحُورِ وربَّمَا رَأَيْتُ نُفُوسَ القومِ مِن جَرْيِها تَجْرِى(٦)
سَمَوْنَا إلى المَهْدِىّ قَصْدًا وإنَّما قَطَعْنَا بِها أَمْوَاجَ بَحْرٍ إلى بَحْرِ(٧)

فبلغ سيبويه قوله : « نِينَانَ البُحُورِ » فأنكر ذلك ، وزعم أن العرب لا تجمع النون — وهو الحوت — على نِينَان . فبلغ ذلك بشَّارًا ، فقال : وَيْحَه : أما يقول : حُوتٌ وحيتان ، وغُولٌ وغيلان ، فكذلك نون

---

(١) شرح التبريزى ٢ / ٣٩٤ وهذه القصيدة لا توجد فى ديوان أبى تمام .

(٢) أولها ص ٣٩٦ :

حملت رجاى إليك بنت حديقة غلباء لم تفلح لفحل مقرف
نتجت وقد حوت الهنيدة وابتنت فى شطرهـا وتبوعت فى النيف
فأتت محـل وهى حمل بناتها تسرى بقائمتى خريق حـرجف
فاعتـامها ذو خبرة بفحولها ندس بجبلة حلقها متلطف

ثم يمضى فى وصفها على هذا النحو فى ثمانية أبيات أخر .

(٣) ديوان بشار ٣ / ٢٨٠ والأغانى ٣ / ٦٩ . والأين : الإعياء .

(٤) م « ولا دعر » والقبول : ريح الصبا وهى رخاء السفن . وتشمصت : نفرت وأسرعت فى سيرها ، كما تفعل الدابة التى تنخس وتساق . والوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .

(٥) م « دليل » والقرا : الظهر .

(٦) م « أنكر » .

(٧) لم يرد هذا البيت فى ديوانه ولا فى الأغانى .

ونينان ، وتوعَّدَ سيبويه ولَدَغَه فكفَّ سيبويه عن تتبُّع شعره ، واحتجّ بشيء [منه] تقربًا إليه ، واستكْفَافًا لشره .

* * *

وللبحترى فى الخروج إلى المديح بذكر الإبل غير شىء لو استقصيته ، وأتيت بجميع ما لأبى تمام فيه – لطال الباب . وما تركتُ لهما إلا وسطا ليس بجيد ولا ردىء .

* * *

ولا خفاء بفضل البحترى فى سائر ما أوردته على أبى تمام .

رفع المسهم

وهذا وجه آخر من الخروج
و وخروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء

فمن ذلك قول[١] أبى تمام :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الكَرِيمِ مِنَ الغِنى ... فَالسَّيْلَ حَرْبٌ للمكانِ العَالِى[٢]
وتَنَظَّرِى خَبَبَ الرِّكَاب يَحُثُّهَا ... مُحْيِى القَرِيضِ إلى مُمِيتِ المَالِ

وهذا معنى لطيف حسن .

* * *

ومنه قول البحترى :

وَلَمْ أَنْسَهَا عِنْدَ الوَدَاع ونَشْرِهَا ... سَوابِقَ دَمْعٍ أُعْجِلَتْ أَنْ تُنَظَّمَا[٣]
وقالتْ هَلِ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ مُعْقِبٌ ... رِضًا فَيَعُودَ الشَّمْلُ مِنَّا مُلَأَّمَا

وقوله :

قَامَتْ تُوَدِّعُنِى عَجْلَى وقد بَدَرَتْ ... سَوَابِقٌ مِنْ تُؤَامِ الدَّمْعِ تُجْرِيها[٤]
وَاسْتَنْكَرَت ظَعَنِى عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا ... إلى الخليفة أَنْضَى العيس مُنْضِيها[٥]

وما أكثر ما يستعمل الشعراءُ فى خروجهم[٦] إلى المدح هذا الوجه .

---

(١) م « قال » .
(٢) ديوان أبى تمام ٢٤٦ وشرح التبريزى ٣ / ٧٧ « الركاب ينصها » .
(٣) ديوان البحترى ٩٤ ، ٣ / ١٩٨٢ .
(٤) ديوان البحترى ٣٦ « وقد حدرت » ، فى ٤ / ٤٢١٠ كما هنا .
(٥) الذى فى الديوان « أمضى العيس ممضيها » .
(٦) م « خروجها » .

رفع المسهم

ومن جيد ذلك قول جرير :

تَعَزَّتْ أُم حَرْزَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ المُورِدِينَ ذَوِى لُقَاحِ[1]

تُعَلِّلُ وَهْىَ سَاغِيَةٌ بَنِيها بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّبِمِ القَرَاحِ[2]

سَأَمْتَاحُ البُحُورَ فَجَنِّبِينِى أَذَاةَ اللَّوْمِ ، وَانْتَظِرِى امْتِيَاحِى

ثِقِى بِاللهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ

---

(١) ديوانه ٩٧ .

(٢) ساغبة : جائعة . الشبم : البارد . والقراح : الماء الذى لم يخالطه شىء يطيب به كالعسل والمر والزيت .

رفع المسهم

وربما خرجا إلى المدح بيمين يحلفان بها

ومن ذلك قول أبي تمام :

حَلَفْتُ بِرَبِّ البِيضِ تَدْمَى نُحُورُهَا ... وربِّ القَنَا المُنْآدِ والمُتَقَصِّدِ[1]

لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدٍ ... تَبَارِيحَ ثَأْرِ الصَّامِتِيِّ مُحَمَّدِ[2]

فالبيض : هى الأُدْمُ من الإبل ، يقال : بعير آدَم إذا كان أبيض .

وقوله : « تباريح ثَأْر » أراد أن سيفه كفَّ تَبارِيحَ ثأْره ، أى كفّ ما برح به من الثأْر حتى أدركه .

ومن ذلك قوله :

لَا والَّذى هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى ... صَبِرٌ ، وأَنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيمُ[3]

ما زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الضَّمِيرِ ، ولا غَدَتْ ... نَفْسى عَلَى إِلْف سِوَاكَ تَحُومُ[4]

* * *

ومن ذلك قول البحترى :

حَلَفْتُ بِمَا حَجَّتْ قُرَيْشٌ وحَجَّبَتْ ... وحَازَ المُصَلَّى والحطيمُ وزَمْزَمُ[5]

---

(١) ديوان أبي تمام ١٠١ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤ « تدمى متونها » والمنآد : المنحنى . والمتقصد : المتكسر .

(٢) قيل : إن الثانى هو الأول . وقيل : الأول : محمد بن يوسف هذا الممدوح ، والآخر : محمد بن حميد الذى قتله بابك ، وهما جميعاً من بنى الصامت .

(٣) ديوانه ٢٩٩ وشرح التبريزى ٣ / ٢٩٠ .

(٤) ويروى « سنن الوداد » .

(٥) ديوان البحترى ٩٦ ، ٣ / ١٩٢٩ .

وأَهْل مِنًى إذْ جَاوَزُوا الخَيْفَ مِنْ مِنًى ... وَهُمْ عُصَبٌ شَتَّى ، مُحِلٌّ ، ومُحْرِمُ[1]

يُهِلُّونَ مِنْ حَيْثُ ٱبْتَدَا الصُّبْحُ يَرْتَقِى ... سَنَاهُ إلى حَيْثُ ٱنْتَهَى الليلُ يُظْلِمُ[2]

لَقَدْ جَشِمَ الفَتْحُ بنُ خَاقَانَ خُطَّةً ... من المَجْدِ لَا يَسْطِيعُها المُتَجَشِّمُ

ومن ذلك قوله :

وشَمَائِلِ الحَسَنِ بنِ وَهْبٍ إنَّهَا ... فى المَجْدِ ذَاتُ شَمَائِلٍ وَجَنَائِبِ[3]

لَيُقَصِّرَنَّ لَجَاجُ شَوْقٍ غَالِب ... وَلِيَقْصِرنَّ لَجَاجُ دَمْع سَاكِبِ[4]

* * *

وهما فى هذا الباب متكافئان .

---

(١) م « عصيب نوضى » .

(٢) م « انتهى الليل » .

(٣) ديوانه ٦٩٧ ، ١ / ١٥٩ طبع المعارف .

(٤) فى الديوان ٦٩٧ « شوق بالغ » وفى طبعة المعارف كما هنا . وبعد البيت :

فالعزم يقتل كل سقم قاتل ... والبعد يغلب كل وجد غالب

وربما خرجا إلى المديح بذكر الغيث ومباراته

فمن ذلك قول أبى تمام :

أَيُّهَا الغَيْثُ حَيِّ أَهْلًا بِمَغْدَا ... كَ ، وعِنْدَ السُّرَى ، وحِينَ يَئُوبُ[1]

لأَبِى جَعْفَرٍ خَلَائِقُ تَحْكِيـ ... ـهِنَّ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

وهذا ليس بالشهى ، ولا الحلو العذب .

والجيد النادر قول البحترى :

أَقُولُ لِثَجَّاجِ الغَمَامِ وقَدْ سَرَى ... بِمُحْتَفَلِ الشُّؤْبُوبِ صَابَ فَعَمَّمَا :[2]

أَقِلَّ وأَكْثِرْ لَسْتَ تَبْلُغُ غَايَةً ... تَبِينُ بِهَا حَتَّى تُضَارِعَ هَيْثَمَا[3]

وأجود من هذا وأحلى وأبلغ — قوله يمدح المتوكل :

قَدْ قُلْتُ لِلغَيْثِ الرُّكَام وَلَجَّ فِى ... إِبْرَاقِهِ ، وأَلَحَّ فى إِرْعَادِهِ[4]

لا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا ... بِنَدى يَدَيْهِ فَلَسْتَ مِنْ أَنْدَادِهِ

ومن الجيد النادر فى هذا الباب أيضًا — قوله :

رِبَاعٌ تَرَدَّتْ فى الرِّيَاضِ مَجُودَةٌ ... بِكُلِّ جَدِيدِ الماءِ عَذْبِ المَوَارِدِ[5]

---

(١) ديوان أبى تمام ٥٨ وشرح التبريزى ١ / ٢٩٧ .

(٢) ديوان البحترى ١٢٧ ، ٤ / ٢٠٨٨ والصناعتين ٤٥٧ وعيار الشعر ١١٦ .

(٣) فى الديوان ١٢٧ « لست تدرك » والهيثم الغنوى : هو الممدوح .

(٤) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧٠٣ والصناعتين ٤٥٧ والبديع لأسامة ٢٨٨ « قلت الغيم » .

(٥) ديوانه ٥٤ ، ١ / ٦٢٤ .

رفع المسيهما

إذَا رَاوَحَتْهَا مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لَهَا شَآبِيبُ مُجْتَازٍ عليها وقَاصِدُ[1]
كَأَنَّ يَدَ الفَتْحِ بنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ تَلِيهَا بِتِلْكَ البَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ

وقال :

سُقِيتَ رُبَاكِ بِكُلِّ نَوْءٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبْلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومَا[2]
فَلَوَ أَنَّنى أُعْطِيتُ فِيهِنَّ المُنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا[3]
بِسَحَابَةٍ غَرَّاءَ مُتْئَمَةٍ إِذَا كَانَ الجَهَامُ مِنَ السَّحَابِ عَقِيمَا[4]

فقوله : «سُقيتْ رُبَاكِ» – بيت ليس بالبارع لفظاً ولا معنى ، وما بعده جيد حلو .

وإنما خَصَّ الجَهَامَ لأَنَّه الذى قد كان فيه ماء فأَراقه ، ومثله لا يكون عقيمًا . جعله كالمرأة الوالد .

وقال [أبو تمام] فى هذا المعنى أيضًا :

شَجًا فى الحَشَا تَرْدَادُهُ لَيْسَ يَفْتُرُ به صُمْنَ آمَالِى وإِنِّى لَمُفْطِرُ[5]
حَلَفْتُ بِمُسْتَنٍّ المُنَى تَسْتَرِشُّهَا سَحَابَةُ كَفٍّ بالرَّغَائِبِ تُمْطِرُ
إِذَا دَرَجَتْ فيه الصبا كَفْكَفَتْ لَهَا وقَامَ يُبَارِيها أَبُو الفَضْلِ جَعْفَرُ[6]

وهذه ألفاظ ومعان ونسج فى غاية الرداءة والهَجَانَة ، والبعد من البلاغة والبراعة ، على ما فيها من التعقيد واتفاق المعانى .

فقوله : «حَلَفْتُ» يعنى نفسه .

---

(١) م «مجتاب عليها» .
(٢) ديوانه ٢٨٦ ، ٣ / ١٩٦٥ .
(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل الممدوح .
(٤) م «السحاب عظيما» والمتئم : التى تضع اثنين فى بطن واحد .
(٥) ديوان أبى تمام ١٥٩ وشرح التبريزى ٢ / ٢١٤ فى مدح جعفر الخياط .
(٦) م «درجت فيها» .

و «مُسْتَنُّ المُنَى»: المحل الذى يستنّ فيه المنى، أى يَطَّرِدُ، يَذْهَبُ ويَجِيءُ ويكثر. يريد محل الممدوح وساحته.

وقوله: «يَسترشُّهَا. إنما أراد يَسْترشُّ سَحَابَة كَفٍّ فقال: «يَسْتَرشُّها» فقدم الكناية، وجعل «سَحَابَة كَفٍّ» بدلًا من الهاء والألف.

يقول: حللت بمحلّ تَسْتَنُّ فيه المُنَى، وتَطْلُبُ رَشَاشَ سَحَابَةِ كَف.

وقوله: «إذا دَرَجَتْ فيهِ الصَّبَا». يريد فى مُسْتَنِّ المُنَى. كَفْكَفَتْ لَهَا أى للسحابة.

وكفكفت: أى دنت وقَرُبت.

و «قَامَ يُبَارِيها» أى يبارى الصَّبَا بِسَحَابَةِ كَفِّهِ أَبُو الفَضْل جعفر.

وهذان البيتان لا يتصلان بالبيت الأول. وإنما كان وجه الكلام أن يقول: شجًا فى الحشا كان تَرْدَادُهُ ليس يَفْتُر، وكانت آمالى به صائِمةً، فَحَلَلْتُ بِمُسْتَنِّ مُنًى مِنْ حَالِهِ وصِفَتِهِ. حتى يتصل الكلام بعضه ببعض.

والحذف والاختصار فى كلام العرب موجود، ولكن ليس فى مثل هذا.

* * *

ومن هذا الباب، وفيه بعض الغموض، قوله:

إنَّ الذى خَلَقَ الخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَها لِتَصَرُّفِ الأَحْرَاسِ[1]

فَالأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قِرًى لَهَا وبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو العَبَّاسِ

يريد أن الله تعالى، جعل أقوات عباده من وجوه مختلفة على قدر أزمانها.

وَالأَحْرَاسُ: الدُّهُور، واحدها حَرْس.

---

(١) ديوان أبى تمام ١٧٣ وشرح التبريزى ٢ / ٢٤٦ وفى م «الأجراس».

يقول : فالأَرض إنما تحيا بما تَقْرِيها السماءُ من الغَيْثِ ، وبنو الرجاء لهم بنو العباس ، أى بنو الرَّجَاءِ بنو العباس لهم ، أى لهم عِصْمَة ، كما يقال : الله لك ، أى مُعينٌ ومُغِيث .

ويجوز أن يكون أبو تمام ذهب فى ذكر الأَرض والغيث هاهنا[1] وجعل بنى العباس رجاء الناس لذلك ؛ لأَن الناس فى أيام عمر بن الخطاب ، رحمة الله عليه ، احتبس عنهم المطر فأَخذ عمر بضَبُعِ العَبَّاس وقال : اللهم إن هذا عم نبيك ، اللهم اسقنا غيثك . فما بَرِحَ الناسُ حتى وافاهم المطر. فلعل أبا تمام ذهب إلى هذا المعنى . والله أعلم.

والبيتان رديئان نسجاً ولفظاً .

ولا محالة أن البحترى أيضًا فى هذا الباب – يتقدم أبا تمام.

---

(١) العبارة هنا ناقصة .

رفع المسهم

وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

وهو وصف الرياح ، وتشبيه أخلاق الممدوح بها

فمن ذلك قول أبي تمام :

مِنْ فَاقِعٍ غَضِّ النَّبَاتِ كَأَنَّهُ [دُورٌ] يُشَقَّق قبلُ، ثم يُزَعْفَرُ[1]

صُنْعُ الذى لَوْلَا بَدَائعُ صُنْعِهِ مَا عَادَ أَصْفَرَ بَعْدَ إِذْ هُوَ أَخْضَرُ

خُلُقٌ أَطَلَّ مِنَ الرَّبيعِ كَأَنَّهُ خُلُقُ الإِمَامِ وَهَدْيُهُ المُتَيَسِّرُ

فقوله : «خُلُقٌ أَطلَّ من الربيع كأَنَّه خُلُق الإمامِ» – معنى صحيح .

«وهَدْيُهُ المُتَيَسِّرُ» . فالهدى : سَمْتُهُ ودَلُّهُ وشَكْلُه . و «المُتَيَسِّر» . قافية رديئة جدًّا .

* * *

ومثله قول البحترى :

وَيُرِيكَ الأَحْبَابُ يَوْمَ تَلَاقٍ بِاغْتِبَاقِ الحَوْذَانِ والأُقْحُوَانِ[2]

صَاغَ مِنْهَا الرَّبِيعُ شَكْلًا لِأَخْلا قِ حُسَيْنٍ [ذِى] الجُودِ والإِحْسَانِ[3]

وهذا أيضًا خُرُوجٌ ليست له قوة لفظ [و] لا حلاوة فيه ولا معنى .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٥٨ وشرح التبريزى ٢ / ١٩٦ .

(٢) ديوان البحترى ٤ / ٢١٩٨ وفى اللسان ٤ / ٢١ « والحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء فى أصلها صفرة وورقته مدورة » وفى الديوان « باغتباق » وهو تحريف .

(٣) يقصد ممدوحه : الحسين بن الحسن بن سهل .

رفع المسهم

وهذا وجه آخر من خروجهما إلى المدح

منه قول أبي تمام :

صُبَّ الفِرَاقُ عَلَيْنَا ، صُبَّ مِنْ كَثَبِ ... عليهِ إسْحاقُ يَومَ الرَّوعِ مُنْتَقِمَا[1]

وهذا خروج حسن[2].

وقال أيضًا :

فَلْيُبْلِغ ٱلفِتْيَانُ عَنِّى مَأْلُكًا ... أَنِّى مَتَى يَتَثَلَّمُوا أَتَهَدَّمِ[3]

وَلْتَعْلَمِ الأَيَّامُ أَنِّى فُتُّهَا ... بِأَبِى الحُسَيْنِ مُحَمَّدِ بن الهَيْثَمِ

قوله : « مأْلُكًا » : جمع مَأْلُكَةٍ ، وهى الرِّسَالة ، ونصبها على الحال .

وقال أبو تمام أيضًا :

وَعَاذِلٍ هَاجَ لِى بِاللَّوْمِ مَأْرُبَةً ... بَاتَتْ عَلَيْهَا هُمُومُ الصدر تصطخب[4]

لَمَّا أَطَالَ ٱرْتِجَالَ العَذْلِ قُلْتُ لَهُ ... الحَزْمُ يُثْنِى خُطُوبَ الدَّهْرِ لَا الخُطَبُ

لَمْ يَجْتَمِعْ قَطُّ فى مِصْرٍ وَلَا طَرَفٍ ... مُحَمَّدُ بنُ أَبِى مَرْوَانَ والنُّوَبُ[5]

قوله : « الحَزْمُ يَثْنِى خُطوبَ الدهر » ـ ليس بواجبٍ قاطع على كلِّ حال . ولو كان ذلك كذلك لما رأيت حازمًا قطّ يصيبه خطب من الدهر يكرهه . ولكنه لما كان الحزم قد يفعل ذلك صلح أن يذكره .

---

(١) ديوان أبي تمام ٣٠٢ وشرح التبريزى ٣ / ١٦٨ .

(٢) بل هو خروج ردىء .

(٣) ديوانه ٣١٢ وشرح التبريزى ٣ / ٢٥٠ « مالكا » وانظر اللسان ١٢ / ٢٧٢ .

(٤) ديوانه ٤٧ وشرح التبريزى ١ / ٢٤٨ ويروى « هموم النفس » والمأربة : الحاجة .

(٥) م « يجتمع خط » .

وقال أبو تمام :

يَا أَيُّهَذَا السَّائِلِى أَنَا شَارِحٌ لكَ غَائِبِى حتَّى كأَنَّك حَاضِرُهْ[١]
إِنِّى ونَصْرًا والرِّضَا بِجِوَارِهِ كالبَحْرِ لا يَبْغِى سِوَاهُ مُجَاوِرُهْ
مَا إِنْ يَخَافُ الخَذْلَ مِنْ أَيَّامِهِ أَحَدٌ تَيَقَّنَ أَنَّ نَصْرًا نَاصِرُهْ

قوله : «أنا شارحٌ لك غائبى» . لست أراه شرح شيئًا ، وإنما ذكر أن رضاه بجوار نصر كالبحر لا يبغى سواه مجاوره . وهذا خبر مُخْتَصر ؛ والشرح لا يكون فى نصف البيت .

فأما قوله : «ما إنْ يَخَافُ الخَذْلَ» فليس يتعلق بقوله : «أنا شارحٌ لك غائبى حتَّى كأنك حاضره» .

وقد أخبر البحترى بخبر حسن هو أولى بالشرح من أبى تمام فقال :

ومِنْ غَرَائِبِ مَا تَأْتِى الخُطُوبُ بِهِ فى أَوَّلٍ مِنْ صُروفِ الدَّهْرِ أَوْتَالِ[٢]
أُحْدُوثَةٌ عَجَبٌ أُنْبِيكَ عَنْ خَبَرِى فيها ، وعَنْ خَبَرِ الشَّاهِ بنِ مِيكَالِ
فَرَرْتُ مِنْه حَيَاءً مِنْ قُصُورِىَ عَنْ جَزَاءِ مَا زَادَ فى جَاهِى وفى مَالِى[٣]
لَوْلَمْ أُعَوِّضْهُ شكْرًا عَنْ تَطَوُّلِهِ إِذْ لَمْ أُقَابِلْهُ إِفْضَالًا بِإِفْضَالِ[٤]

وقد ذكر هذا المعنى فى غير موضع . وإنما أذكره فى أبوابه إذا جاءت بإذن الله .

* * *

وقال البحترى :

لَعَمْرُ أَبِى الأَيَّامِ مَا جَارَ حُكْمُهَا عَلَىَّ ، ولَا أَعْطَيْتُه ثِنْيَ مِقْوَدِى[٥]

(١) ديوان أبى تمام ١٥٦ وشرح التبريزى ٢ / ٢١٠ .
(٢) ديوانه ٢ / ١٧٢١ .
(٣) م « حياء عن » .
(٤) فى الديوان لم أعوضه . . . إذ لم أكايله . . » .
(٥) ديوانه ٢٣١ ، ٢ / ٧٧٢ « ولا أعطيتها » وهى فى مدح أحمد بن محمد بن المدبر . وسبق البيت الأول فى الجزء الأول ٤٢٩ ، « مقولى » وهو خطأ .

وكَيْفَ أَخَافُ الحَادِثَاتِ وصَرْفَها ... عَلَيَّ وَدُونِى أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ[1]

وقال :

فَإِنْ أَرَابَ صَدِيقِى فى الوِدَادِ فَكَمْ ... أَمْسَيْتُ أَحْذَرُ مَا قَدْ كُنْتُ آمُلُهُ[2]

يَكْفِيكَ مِنْ عُدَّةٍ فى الدَّهْرِ تَجْعَلُها ... ذُخْرًا - سَمَاعُ أَبِى بَكْرٍ ونَائِلُهُ[3]

وقال :

لاَ أَمْدَحُ المَرْءَ أَقْصَى مَا يَجُودُ بِهِ ... نَيْلٌ يُكَسِّرُ مِنْ حَافَاتِ جُلْمُودِ

حَسْبِى بِأَحْمَدَ إِحْسَانًا يُبَلِّغُنِى ... مَدَى الغِنَى ، وبِفِعْلٍ مِنْهُ مَحْمُودِ

قوله : «وبِفِعْلٍ مِنه مَحْمودِ» . يريد معونته إياه على أموره ، وبَذْلِهِ جاهَهُ له :

ومن طريف خروج البحترى وعجيبه قوله :

إِذَا الرِّجَالُ اعْتَمَتْ أَجوادَهم ... فَاسْمُ إلى الأَشْرَفِ مَا فَالأَشْرَفِ[4]

اُدْفَعْ بِأَمْثَالِ أَبِى غَالِبٍ ... عَادِيَةَ العُدْمِ أَوِ اسْتَعْفِفِ

ومن جيد ذلك ونادره أيضًا قوله :

يَرْجُو البخيلُ اغْتِرارِى أَوْ مُخَادَعَتِى ... حتَّى أَسوقَ إليه المَدْحَ مَجَّانَا

لأَكْسُوَنَّ بَنِى الفَيَّاضِ مِنْ مِدَحِى ... مَا بَاتَ مِنه لَئِيمُ الناسِ عُرْيَانَا

وهذا فى غاية الحسن .

---

(١) يقصد ممدوحه : أحمد بن محمد بن المدبر .

(٢) ديوان البحترى ٩٧٠ ، ٣ / ١٨٢٩ فى مدح أبى بكر الكاتب ، المعروف بجرادة .

(٣) فى الديوان « للدهر » .

(٣) ديوانه ٣٤٧ ، ١ / ٥٥٧ فى مدح أحمد بن عبد الوهاب . فى م « ما تجود » .

(٤) ديوانه ٢٣٣ ، ٣ / ١٣٦٠ - ١٣٦١ فى مدح أبى غالب بن أحمد بن محمد بن المدبر . واعتمت : اخترت ، ومنه قول طرفة : أرى الموت يعتام الكرام ... » .

وقال :

هَل الشَّبَابُ مُلِمٌّ بِى فَرَاجِعَةٌ أَيَّامُهُ لِى فى أَعْقَابِ أَيَّامِى[١]
لَوْ أَنَّهُ نَائِلٌ غَمْرٌ يُجَادُ بِهِ لَقَدْ تَطَلَّبْتُه عِنْدَ ابنِ بِسْطَامِ

وهذا أيضًا خروج حسن طريف.

ومن جيد خروجه[٢] أيضًا قوله :

لِتَسْرِينَّ قَوَافِى الشِّعْرِ مُعْجَلَةً مَابَيْنَ سُيَّرِهِ المُثْلَى وشُرَّدِهِ[٣]
جَوَازِيًا حَسَنًا مِنْ حُسْنِ أَنْعُمِهِ وعَنْ بَوَادِيه فى الجَدْوَى وعُوَّدِهِ[٤]

* * *

ومن طريفات الخروج أيضًا قول أبى تمام :

تَدَاوَ مِنْ شَوْقِكَ الأَقْصَى بِمَا فَعَلَتْ خَيْلُ ابن يُوسُفَ والأَبْطَالُ تَطَّرِدُ[٥]
ذَاكَ السُّرورُ الذى آلَتْ بَشَاشَتُهُ أَنْ لَا يُجَاوِرَهَا فى مُهْجَةٍ كَمَدُ

وهذا ــ لعمرى ــ معنى فى غاية الحسن والحلاوة .

وقال أبو تمام :

تَوَاتَرَتْ نَكَبَاتُ العُسْرِ تَرْشُقُنِى بِكُلِّ صَائِبَةٍ عَنْ قَوْسِ عَضْبَانِ[٦]
مَدَّتْ عِنَانَ رَجَائِى فَاسْتَقَدْتُ لَهَا حَتَّى رَمَتْنِىَ فى بَحْرِ ابنِ حَسَّانِ[٧]

---

(١) ديوان البحترى ٤ / ٢٠٩٦ من قصيدة يمدح بها أبا العباس : أحمد بن محمد بن بسطام .
(٢) م « خروجاته » .
(٣) ديوانه ٥٨٠ ، ١ / ٤٩٩ فى مدح الحسن بن مخلد .
(٤) فى الديوان « عن حسن » .
(٥) ديوان أبى تمام ٩٧ وشرح التبريزى ٢ / ١٢ « أى تسل عن غمك بفراق أحبتك بسرورك بما فتحت خيل محمد بن يوسف الطائى » .
(٦) ديوانه ٣٢٤ وشرح التبريزى ٣ / ٣١٢ ويروى : « نكبات الدهر » .
(٧) فى الشرح « رمت بى » .

بَحْرٌ مِنَ الجُودِ يَرْمِي مَوْجُهُ زَبَدًا حَبَابُهُ الوَدْقُ مَقْرُونٌ بِعِقْيَانِ[١]

وهذا من لفظ العوام وأشعار الصبيان .

ومن ردىء خروجه أيضًا قوله :

وَدِّعْ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ الفِرَاقِ فَمَا أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا[٢]

يُجَاهِدِ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْنِيهُ جِهَادُهُ القَوَافِي فِى أَبِى دُلَفَا[٣]

وقد أصلحه الناسُ : «مُجَاهدَاتُ القوافى» . وبقى ما لا يمكن إصلاحه وهو قبح قوله : «يَجْنِيهُ» ، فإنها لفظة بشعة .

ومجاهدته للقوافى أيضًا معنى ردىء . وإنما كان ينبغى أن يقول :

إن الشعر يُيَسِّرُ فيه ، وتطّرد قوافيه بمدحه لكثرة فضائله ، ويأتى فيه عَفْوًا ، ولا يتعَذَّر ، كما قال :

تَغَايَرَ الشِّعْرُ فيهِ إِذْ سَهِرْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَتِلُ[٤]

* * *

ومن ردىء خُرُوجه[٥] أيضًا وقبيحه قوله :

يَعْجَبْنَ مِنِّى أَنْ سَمَحْتُ بِمُهْجَتِى وكَذَاكَ أَعْجَبُ مِنْ سَمَاحَةِ جَعْفَرِ[٦]

مَلِكٌ إِذَا الحاجاتُ لُذْنَ بِحِقْوِهِ صَافَحْنَ كَفَّ نَوَالِهِ المُتَيَسِّرِ

فلم عجب من سماحة جعفر؟ وإنما العجب من سماحة البخلاء ، فأما

---

(١) م « موجه أبداً » وفى الديوان وشرحه « فضة زينت » .

(٢) ديوان أبى تمام ٢٠١ وشرح التبريزى ٢ / ٣٦٢ .

(٣) م « الشوق طراً . . . فجاهدته » .

(٤) ديوانه ٢٢٧ .

(٥) م « خروجاته وقبيحها » .

(٦) ديوانه ٣٩٨ وفى م « أن سهرت » .

الكرماءُ الذين من عاداتهم البذل فما وجه التعجب من سماحتهم ؟

وليس فى البيت الثانى ما يوجب التعجب ، وإنما ذكر فيه أن نواله متيسّر . وهو بيت ردىء .

* * *

ومن ردىء خروجه[1] أيضًا لفظًا ومعنى قوله :

يقولُ أُنَاسٌ فى جَبِينَاءَ عَايَنُوا عِمارةَ رَحْلِى مِنْ طَرِيفٍ وتَالِدِ[2]
أَأَظْهَرْتَ كَنْزًا أَمْ صَبَحْتَ بِغَارَةٍ ذَوِى غِرَّةٍ حَامِيهُمُ غَيْرُ شَاهِدِ[3]
فَقُلْتُ لَهُمْ : لَاذَا ولَا ذَاكَ دَيْدَنِى ولَكِنَّنِى أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ

وهذا من معانى العوام أن يقولوا لمن رأوا حالَه قد حسنت : عَلَى مَنْ أَغَرْتَ أَوْ أَىّ كنْز وجدت؟ وما ظننت مثل هذا يُنْظَم فى شعر .

وقوله : « أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ » كلام كالفارغ . وإنما كان ينبغى لمن ابتلاه الله بهذا المعنى أن يقول فى جوابهم : نعم كنز خالد ، وأغار على ندى خالد . ولكنه ، لعمرى ، بَيَّنَ المعنى فى البيت الثانى ، وعرَّفهم سبب عِمَارَة رَحْلِه بأن قال :

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيعًا بَيْنَ أَيْدِى القَصَائِدِ

وهذا ، وأبيه ، معنى متناه فى بَرْدِهِ وغَثَاثَتِه وركاكته ، ولَشتِيمَةُ الممدوح عندى بالزنى أحسن وأجمل مِنْ جَذْب نداه حتى يَخرَّ صَرِيعًا !!!

ولو لم يعلمنا أن ذلك كان غُدْوَة السبت كيف كان يتم بَرْدُ المعنى .

و « حَبِينَاءُ » : اسم موضع ، فى غاية القبح والهجانة . فإنهم وإن كانوا

---

(١) م « خروجاته » .

(٢) ديوان أبى تمام ٩٥ وشرح التبريزى ٢ / ٥ فى مدح خالد بن يزيد الشيبانى .

(٣) ويروى « أصادفت كنزاً » .

قالوا ما قالوا له فى هذا الموضع فإنَّه لم يك مضطرًّا إلى ذكره ، كما أنه لم يك مضطرًّا إلى ذكر غُدْوةِ السَّبْت .

ومن سبيل الشاعر أن لا يذكر إلَّا ما حسُنَ من أسماءِ المواضع ، وأن يعتمد أسماءَ المواضع الغريبة المتكررة فى أشعار الفصحاءِ ؛ ألاترى أن «الفَرَزْدَق» أنكر على «مالك بن أَسْمَاء بن خَارِجَةَ» وقد أنشده :

• حَبَّذَا لَيْلَتِى بِتِلِّ بَوَنَّا[1] •

فقال : أفسدت أبياتك بذكر بَوَنَّا ، فقال له : فنى : «بَوَنَّا» كان ذلك . قال : وإن كان .

* * *

ومن خروجه الردىء قوله[2] :

يَدُ الشَّكْوى أَتَتْكَ عَلَى البَرِيدِ تُمَدُّ بها القَصَائِدُ مِنْ نَشِيدِ[3]
تُقَلِّبُ بَيْنَهَا أَمَلًا جَدِيدًا تَدَرَّعَ حُلَّتَىْ طَمَعٍ جَدِيدِ
شكوتُ إلى الزمانِ نُحُولَ جِسْمِى فَأَرْشَدَنِى إلى عَبْدِ الحَمِيدِ

فقوله : «تُقَلِّب بينها» . يعنى القصائِد .

وقوله : «أملا جديدًا تدرَّع حُلَّتِى طمَع جديد»[4] لفظ ردىء جدًّا ؛ لأَن معنى الطمع والأَمل والرجاءُ معنى واحد فى مقاصد الناس واستعمالهم ،

---

(١) الشعر والشعراء ٢ / ٧٥٧ والأغانى ١٦ / ٤٠ .

(٢) م « خروجاته الرديئة » .

(٣) ديوان أبى تمام ١٣٦ وشرح التبريزى ٢ / ١٣٣ فى مدح عبد الحميد بن جبريل « القصائد بالنشيد » ويروى « تمديد القصائد » !

(٤) م « حلتى أمل » .

تقول : أنا آمل من الله تعالى الفرج ، كما تقول : أطمع وأرجو . وإنما يُنْسَقُ بعضها على بعض لاختلاف اللفظ .

وتقول : قد انقطع من فلان الطمع ، وانقطع الأمل ، وانقطع الرجاءُ . وكذلك خاب .

فإن كان بين هذه الألفاظ فرق فى أصل وضع الكلام [فقد أُجريت][1] مُجْرى واحدًا فلا فائدة إذًا فى قوله : « أَمَلًا جَدِيدًا تَدرَّعَ حُلَّتَىْ طَمَعٍ جَدِيدِ » .

ولو كان قال : تَدَرَّعَ حُلَّتَىْ عزم جديد كان أولى بالصواب ، إن شاء الله .

قوله :

شكَوْتُ إلى الزَّمَانِ نُحُولَ جِسْمِى فأَرْشَدَنِى إلى عَبْدِ الحَمِيدِ

لو كان عبد الحميد طبيبًا كان يكون معنى البيت مستقيمًا ؛ لأن الرجل المُعْتَرَّ[2] الطالب الجدوى لا يشكو نحول جسمه إلى ممدوحه الذى يلتمس الفضل منه ، وإنما يشكو إليه اختلال الحال ، وقُصُورَ اليد ، فأما أن يشكو إليه نحول الجسم فإن ذلك غاية الخناعة[3] والنَّذالة والانحطاط فى المسألة . إنَّه[4] يخبره بشدة جوعه وأن ذلك هو الذى أذاب لحمه . وهذا لا يقوله شاعر على هذا الوجه . بل إنما يذكر الخمص بوجه[5] حسن ، ولفظ معتاد . ونحول الجسم فإنما يشتكى إلى الحبيب إذا كان من غلَّة أو عشق .

---

(١) زيادة لازمة .
(٢) م « المقتر » .
(٣) م « الصناعة » .
(٤) م « إنما » .
(٥) م « وجه » .

ولو كان قال : شكوت إلى الزمان قصور حال ، كان أشبه من نحول الجسم الذى قد يكون من أشياء كثيرة .

أو لو كان ذكر هَجْرَ حبيبٍ وما لَحِقَهُ من الضَّنَى والسقم - لَصَلُح أن يجعل شكواه إلى الممدوح كما قال أبو نواس :

سَأَشْكُو إلى الفَضْل بن يحيى بنِ خالدٍ هَوَاكُم لَعَلَّ الفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا[1]

فقال الفضل : جعلنى قوّاده . وإنما أراد أبو نواس لعل الفضل يُثِيبُنِى بما أَصِلُ به إلى الاجتماع معكم .

* * *

وهذا الباب فى الخروج من النسيب إلى المديح مما لا خفاء بفضل البحترى فيه على أبى تمام .

* * *

(١) ديوان أبى نواس ٧٥ « هواك » والعمدة ١ / ٢٣٥ .

وللمتأخرين خروجات ظريفة حلوة نادرة

فمن ذلك قول ابن وُهَيْب :

رُبَمَا أبيتُ معانِقِى قَمَرٌ للحسن فيه مَخَايِلٌ تَضِحُ[١]
نَشَرَ الجُمَانُ عَلَى مَحَاسِنِهِ بِدَعًا وأَذْهَب هَمَّهُ الفَرحُ[٢]
يختال فى ودق الشبابِ به مَرحٌ ودَاوُك أَنَّهُ مَرِحُ[٣]
ما زال يُلْثِمُنِى مَرَاشِفَهُ ويُعِلُّنى الإبريق والقَدَحُ[٤]
حتى اسْتَرد الليلُ خِلْعَتَهُ ونَشَا خِلَالَ سَوَادِهِ وَضَحُ
وبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهُ الخَلِيفَةِ حين يُمْتَدحُ[٥]

وحسبك بهذا حسناً يزيد على كل ما تقدم للطائيّين.

* * *

ومن المذاهب الطريفة فى باب الخروج قول «بكر بن النَّطَّاح الحنفى» فى قصيدة يمدح فيها مالكاً الخُزَاعِى :

عَرَضْتُ عليها ما أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى لِتَرْضَى فقالت: قُمْ فَجِئْنِى بِكَوْكَبِ[٦]

---

(١) الأغانى ١٧ / ١٤٨ ومعاهد التنصيص ٢ / ٥٨ وأنوار الربيع ٣٦٩ .
(٢) فى الأغانى وما بعده « نشر الجمال » .
(٣) وفيها « فى حلل الشباب » .
(٤) الصناعتين ٦٣ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .
(٥) الخليفة : المأمون . والبيت فى معجم الشعراء ٤٢٠ والصناعتين ٦٣ ، ٤٥٥ ومعيار الشعر ١١٤ وزهر الآداب ٢ / ٥٩٨ .
(٦) الكامل للمبرد ٢ / ٧٠٨ والعمدة ٢ / ٣٨ .

رفع المسيهما

فَقُلْتُ لها : هذا التَّعَنتُ كُلُّهُ كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عَنقاءِ مُغْرِب
فَلَوْ أَنني أَصْبَحْتُ فى جُودِ خَالِد وعِزَّتِهِ ما نال ذلك مَطْلَبِى[1]
فَتًى شَقِيتْ آمَالُهُ بِسَمَاحِهِ كما شَقِيَتْ قيسٌ بأَرْمَاحِ تَغْلبِ

* * *

ونحوه قول الخليع[2] فى كلمة يمدح فيها عاصمًا الغَسَّانى :

أَقول ونفسى بَيْن شَوْقٍ وحَسْرَةٍ وقد شخصَتْ عينى ، ودَمْعِى عَلَى خَدِّى :[3]
أَرِيحِى بقتل مَنْ تركْتِ فؤَادَه بِلَحْظَتِهِ بَيْنَ التَّأَسُّفِ والجَهْدِ
فقالت : عَذَابٌ بالهوى قَبْلَ مِيتَةٍ وَمَوْتٌ إذا أَقْرَحْتَ قَلْبَكَ مِنْ بَعْدِى
لقد فَطِنَتْ بالجود فِطْنَةَ عَاصِمٍ لِصُنْعِ الأَيَادِى الغُرِّ فى طلب الحَمْدِ

وهذا يسميه قوم « الاستطراد » . وهو حسن جدًّا .

---

(١) فى الكامل « فى جود مالك » وهو الصواب لأن الأبيات فى مدح مالك بن على الخزاعى .
(٢) الخليع لقب للحسين بن الضحاك ، لقب به لكثرة خلاعته ومجونه .
(٣) الأبيات له فى الأغانى ٦ / ٢٠٣ والكامل ٢ / ٧٠٩ .

رفع المسهم

باب المديح

أول ما أبدأ به من مدائحهما ذكر السؤدد والمجد وعلو القدر ، ثم ما يخص الخلفاء من ذلك دون غيرهم : من[1] ذكر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها.

وذكر الملك والدولة .

وذكر ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون من سواهم : من ذلك ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم .

وذكر الآلة التى كانت للنبى ، عليه السلام ، فصارت إليهم .

وذكر الآثار بالحرم ، وذكر علو القدر وعظم الفضل .

وذكر تأييد الدين وتقوية أمره .

وذكر الرأفة والرحمة . وذكر إفاضة العدل وإقامة الحق .

وذكر سداد الرأى وحسن السياسة والتدبير والاضطلاع بالأمور والحلم والعقل .

وذكر الجلال والجمال والبهاء والجهارة والهيبة .

وذكر كَرَمِ الأخلاق ولينها .

وذكر ما ينبغى أن يمدح به الخلفاءُ من الجود والكرم .

وذكر ما ينبغى أن يُمدحوا به من الشجاعة والبأس .

---

(١) م « منه » .

رفع المسهم

أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها

قال أبو تمام فى المعتصم :

إنَّ الخليفةَ حِينَ يُظْلِمُ حَادِثٌ عَيْنُ الْهُدَى ، ولَهُ الخِلافَةُ مَحْجِرُ[1]
كَثُرَتْ بِهِ حَرَكَاتُهَا ولقد تُرَى مِنْ فَتْرَةٍ وكَأَنَّها تَتَفكَّرُ[2]
مَا زِلْت أَعْلَمُ أَنَّ عَقْدَ مَرَامِها فى كفِّه مُذْ خُلِّيتْ تَتَخَيَّرُ[3]

قوله : « كثرت به حركاتها » . يريد به ظهور الأمر والنهى والتدبير والسياسية .

ويريد بالفَتْرَةِ ما كان من إهمال هذه الأشياء . و « كأنها تتفكر » لفظ ليس بالحلو ولا الشَّهىِّ هاهنا .

وقال فيه :

فَلَاذَت بِحِقْوَيْهِ الخِلَافَةُ وَٱلْتَقَتْ على خِدْرِها أَرْمَاحُهُ ومَنَاصِلُهْ[4]
أَتَتْهُ مُعِدًّا قَدْ أَتَاهَا كَأَنَّهَا ولا شَكَّ كَانَتْ قَبْلَ ذَاكَ تُرَاسِلُهْ

فالبيت الأول جيد بالغ .

والبيت الثانى فى غاية السخف والرداءة ؛ لأنه جعل الخلافة قد أتته ، وجعله قد أتاها . وكان ينبغى أن يقتصر على إتيانه إياها ، أو إتيانها إياه وهو أجود .

---

(١) ديوان أبى تمام ١٥٨ وشرح التبريزى ٢ / ٩٦ .
(٢) م « حركاته فلقد ترى من فكره » .
(٣) فى الديوان « أن عقدة أمرها » .
(٤) ديوانه ٢٣١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٦ .

فأما أن يجمع بين الحالين فما وجهه؟ وكان ينبغى أن يُعْلِمَنَا لما توجّه كل واحد إلى صاحبه : أين التقيا ؟ أفى منتصف الطريق ؟

وقصد هذا الرجل الإغراب فى الألفاظ والمعانى ؛ ومن ها هنا فسد أكثر شعره .

وقوله[1] : « ولا شك » من سخيف الألفاظ وسَفْسَافِهَا ، وهى حَشْو ردىء ، وليس بالبيت إليه حاجة .

* * *

والجيد النادر فى هذا قول البحترى فى المهدى بالله :

بَارَكَ اللهُ للخليفةِ فى المُلْـ ـك الذى حَازَهُ لَهُ المِقْدَارُ[2]
رُتْبَةٌ مِنْ خِلَافَةِ اللهِ قَدْ طَا لَتْ بها رِقْبَةٌ لَهُ وَانْتِظَارُ
طَلَبَتْهُ فَقْرًا إِلَيْهِ وَمَا كَا نَ بِهِ سَاعَةً إليها افْتِقَارُ[3]

ومثله فى الجودة قوله فيه :

سَرَتْ تَتَبَغَّاهُ الخِلَافَةُ رَغْبَةً إليهِ بِأَوْفَى قَصْدِهَا وَاعْتِمَادِهَا[4]
فَمَا عَلِقَتْه خَبْطَ عَاشِيَةِ الدُّجَى وَلَكِنَّهَا اخْتَارَتْهُ بَعْدَ ارْتِيَادِهَا

فهذه هى المعانى الصحيحة ، واللفظ المستقيم ، والسَّبْك الرَّصِين .

وما أحسن ما قال « سَلْم الخَاسِر » فى المَهْدِى :

هَبَطَتْ إليكَ من السماءِ خِلَافةٌ دَفَعَتْ إليكَ زِمَامَها وقيادَها

---

(١) م « قولك » .
(٢) ديوان البحترى ١٠٥ ، ٢ / ٨٥٣ .
(٣) م « طلبته فقر . . . ساعة إليه » .
(٤) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٥ ويروى « سعت » .

ومثل قول البحترى قول «الحطيئة»:

أنت الإمام الذى مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ ... أَلْقَى إليكَ مَقَالِيدَ النُّهَى البَشَرُ[1]

مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا ... لَكِنْ بِكَ اسْتَأْثَرُوا إِنْ كانَتِ الأَثَرُ[2]

وقال «ابن هَرْمَة» فى المنصور:

وما النَّاسُ أَعْطَوْكَ الخلافَةَ عَنْوَةً ... ولكنَّه مَنْ يُعْلِهِ اللهُ يَسْتَعْلِي

ومن ذلك فى الجودة قولُ البحترى:

اليوم أُطْلِعَ للخلافَةِ سَعْدُهَا ... وأَضَاءَ فيها بَدْرها المُتَهَلِّلُ[3]

لَبِسَتْ جَلَالَةَ جَعْفَرٍ فكَأَنَّها ... سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهارُ المُقْبِلُ[4]

جاءَتْهُ طَائِعَةً ولَمْ يُهْزَزْ لَهَا ... رُمْحٌ، ولم يُشْهَرْ عليها مُنْصُلُ[5]

أَنَّى وإِنْ كانَتْ تَعَلَّتْ نَحْوَهُ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ القَضَاءُ فَتُعْقَلُ[6]

حتَّى أَتَتْهُ يَقُودُهَا اسْتِحْقَاقُهُ ... ويَسُوقُهَا حَظٌّ إليه مُقْبِلُ[7]

ويروى: «ويسوقها حظٌّ إليه مكمل».

و«تُصْنَع» كانت هاهنا أحسن من «تُعْقَلُ» فجاء بتعقل من أجل القافية.

* * *

وقال أبو تمام فى الواثق:

إنَّ الخِلَافَةَ أَصْبَحَتْ حُجُرَاتُها ... ضُرِبَتْ عَلَى ضَخْمِ الهُمُومِ هُمَامِ[8]

---

(١) ديوان الحطيئة ٨١ «أنت الأمين».

(٢) فى الديوان «لم يؤثروك... لكن لأنفسهم كانت بك الخير».

(٣) ديوان البحترى ٢٥ «وأضاء فيه»، ٣/ ١٧٥٤ — ١٧٥٥.

(٤) فى الديوان ٢٥ «لبست خلافة.. تجلله النهار..» والبيت مع سابقه فى الجزء الأول ص ٣٧٣.

(٥) م «ولم يشهد»!

(٦) فى الديوان «وإن كان التلفت نحوه». وفى طبعة المعارف «أنى وقد كانت تلفت نحوه».

(٧) م «يقودها استخفافه»!

(٨) ديوان أبى تمام ٢٧٧ «ضخم العطاء».

ضخم الهَمُوم: يريد ضَخْمَ الهِمَّةِ لا الهَمَّ الذى يراد به الحُزْن. وهذا لفظ هجين فى هذا الموضع.

لَا قَدْحَ فى عُودِ الخِلَافَةِ بَعْدَمَا ... مَتَّتْ إليكَ بِحُرْمَةٍ وذِمَامِ[1]
هيهات تِلْكَ قِلَادَةُ اللهِ التى ... ما كانَ يَتْرُكُها بغير نِظَامِ
إرْثُ النَّبىِّ وجَمْرَةُ المُلْكِ التى ... لَمْ تَخْلُ مِنْ لَهَبٍ بِكُمْ وضِرَامِ[2]
مَذْخُورَةٌ أَحْرَزْتها بِحُكُومَةٍ ... لله تَشْدَخُ أَرْؤُسَ الحُكَّامِ[3]

وقال أبو تمام فى الواثق أيضًا:

جَعَلَ الخِلَافَةَ فيه ربٌّ قَوْلُهُ ... – سبحانه – للشىءِ: كُنْ فَيَكُونُ[4]
ولَقَدْ رَأَيْنَاها لَهُ بِقُلُوبِنَا ... وظُهُورُ خَطْبٍ دُونَهُ وبُطُونُ[5]
وَلِذَاكَ قِيلَ: مِن الظنون جَلِيَّةٌ ... صِدْقٌ وفى بَعْضِ القُلُوبِ عُيونُ[6]
ولَقَدْ عَلِمْنَا مُذْ تَرَعْرَعَ أَنَّهُ ... لِأَمين ربٍّ العَالَمِينَ أَمِينُ

قوله: «جعل الخلافة فيه رَبٌّ» بيت فى غاية الرَّكَاكة والرَّداءة؛ لأن مثل هذا إنما يقال فى الأمر العجب الذى لم يكن يُقَدَّرُ ولا يتوقع. ولا يُظَنُّ أن مِثْلَه يكون، فيقال إذا وقع ذلك: قُدْرَةُ قَادِرٍ، وفِعْلُ من لا يعجزه أَمْرٌ، ومَنْ يقول للشىءِ: كن فيكون. فأما الأُمورُ التى لا يتعجب منها، ولا تُستغرب، والعاداتُ جاريةٌ بها وبما يشبهها – فلا يقال فيها

---

(١) م «ثبتت إليك».
(٢) م «الملك الذى».
(٣) فى الديوان «لله تعلو».
(٤) ديوان أبى تمام ٣٢٩ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٦.
(٥) أى كنا نقدر أنها تصير إليه بالمخايل الدالة، وبينه وبينها مدة بعيدة.
(٦) م «ولذلك».

مثل هذا ، وإنما يُسَبِّح الله تعالى ، وتُذْكرُ قدرتُه على تكوين الأشياء لَوْ جَاءُوا بِأَبِى العِبَرِ[١] أَوْ بِجُحا فجعلوهُ خَلِيفةً .

فأما الواثق فما وجه تسبيح أبى تمام فى أن أفضت إليه الخلافة وأبوه خليفة وهو المعتصم ، وجده خليفة وهو الرشيد ، وجد أبيه خليفة وهو المنصور ، وأخو جده خليفة وهو الهادى ، وأخو جد جده خليفة وهو السَّفَّاح ، وعماه خليفتان : الأمين والمأمون ؟ فذلك ثمانية خلفاء هو تاسعهم[٢] وقد عدد أبو تمام منهم خمسة فى البيت فقال :

يَسْمُو بِكَ السَّفَّاحُ والمَنصُورُ الْـ مهدِىُّ والمَعْصُومُ والمَأْمُونُ[٣]

وذكر الرشيد قبل هذا بأبيات ، وشبّه الواثقَ به فقال :

[وَجَدُوا جَنَابَ المُلْكِ أَخْضَرَ] واجْتَلَوْا هَـارُون فيـه كَأَنَّهُ هَـارُون

فما وجه التعجب من خلافةِ مَنْ كانت هذه صورته ؟

وقوله : « ولَقَدْ رَأَيْنَاها لَهُ بِقُلُوبِنَا » وقوله : « ولِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ » — فهذه كهانة عجيبة من أبى تمام فى الواثق لم يفطن لها غيره .

وعلى أن هذين البيتين جَيِّدان فى نظمهما ولفظهما ، ولكنه وضع المعانى فى غير مواضعها .

وقوله : « لأَمينِ ربِّ العَالَمِين أَمِينُ » يعنى محمدًا صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أبو العبر : هاشمى من بنى العباس . كان أديباً شاعراً ماجناً يظهر الحماقة وله فيها كتاب اسمه : « جامع الحماقات وحاوى الرقاعات . توفى سنة ٢٥٠هـ وترجمته فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٢ والأغانى ٢٠/٨٩ — ٩٣ وتاريخ بغداد ٥/٤٠ .

(٢) نقل هذا النقد ابن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ فى كتابه سر الفصاحة ٢٣٤ ثم قال : « وهذا الذى ذكره أبو القاسم صحيح واضح » .

(٣) ديوانه ٢٣٠ .

وقد أصاب « أبو الجَنُوب مَرْوَان بن أَبِى حَفْصَةَ » فى هذا المعنى إذ يقول للأَمين :

إنَّ الخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نُورُهَا للناظرينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدِ
إنِّى لأَعْلَمُ أَنَّهُ لَخَلِيفَةٌ إنْ بَيْعَةٌ عُقِدَتْ وإنْ لَمْ تُعْقَدِ

وما أحسن ما قال « الحسين بن الضَّحاك[1] البَاهِلِىّ » فى المأْمون أيضًا :

رأَى اللهُ عَبْدَ اللهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ فَمَلَّكَهُ ، واللهُ أَعْلَمُ بالعَبْدِ[2]

* * *

وقال البحترى فى المتوكل ، وزاد على الإحسان :

اللهُ آثَرَ بالخِلَافَةِ جَعْفرًا ورَآهُ نَاصِرَهَا الذى لا يُخْذَلُ[3]
هِىَ أَفْضَلُ الرتب التى جُعِلَتْ لَهُ دُونَ البَرِيَّةِ ، وهْو مِنْهَا أَفْضَلُ[4]

وقال فيه :

إنَّ الخِلَافَةَ لَمَّا اهْتَزَّ مِنْبَرُهَا بِجَعْفَرٍ أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا[5]
أَبْدَى التَّوَاضُعَ لَمَّا نَالَهَا رِعَةً عَنْهَا ، ونَالَتْه فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيهَا[6]

وهذا هو المعنى الحلو ، والمدح الذى يليق بالخلفاء .

---

(١) م « الحسين بن أبى الضحاك » وهو خطأ .
(٢) البيت فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٦٩ وديوان المعانى ٢ / ٢٠٦ والفرج بعد الشدة ١ / ٧٤ ونهاية الأرب ٣ / ٢٥٦ .
(٣) ديوانه ٢٣ .
(٤) م « أفضل الدنيا » .
(٥) ديوانه ٢٨ ، ٤ ١٤٢١ .
(٦) فى الديوان : « نالها دعة » .

رفع المسهم

وقال فى المهدى :

زَادَ فى بَهجَةِ الخِلَافَةِ نُورًا فَهْوَ شَمْسٌ للنَّاسِ ، وهْى نَهَارُ[١]
وأَجَارَ الدُّنْيَا مِنَ الحَيْفِ والخَوْ فِ فَهَلْ يَشْكُرُ المُجِيرَ المُجَارُ

وقال فى المتوكل :

عَادَتْ بِحَقْوَيْكَ الخِلَافَةُ إنَّها قِسْمٌ لِأَفْضَلِ هَاشِم فالأَفْضَلِ[٢]
وتَمَنَّعَتْ فى ظل عِزِّك وٱغْتَدَتْ فى خَيرِ مَنْزِلَةٍ وأَحْصَنِ مَعْقِلِ[٣]

أخذ قوله : « عادَت بحقويلك[٤] الخلافة » من قول أبى تمام :

عَاذَت بِحِقْوَيْكَ الخِلَافَةُ وٱلْتَقَتْ على خِدْرِها أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهْ[٥]

وقال فى المعتز :

حَامِلٌ مِنْ خِلَافَةِ اللهِ ما يَعْ جِزُ عَنْهُ ذُو الأَيْدِ والإِضْطلَاعِ[٦]
مُسْتَقِلٌّ بالثِّقْلِ مِنْها رَحِيبُ الـ صدْرِ نَهْضًا بِهَا رَحِيبُ البَاعِ

وقال فى المتوكل :

وَقَدْ سَرَّنِى أَن الخِلَافَةَ فِيكُمُ مُخَيِّمَةٌ ما إنْ يُخَافُ ٱنْتقَالُها[٧]
لَكُمْ إرْثُها والحَقُّ مِنْهَا ولَم يَكُنْ لِغَيرِكُمُ إلَّا ٱسْمُها وٱنْتِحَـالُها

وقال فيه:

وأرى الخِلَافَةَ وَهْىَ أَعْظَمُ رُتْبَةٍ حَقًّا لَكُمْ وَوِرَاثَةً مَا تُنْزَعُ[٨]

---

(١) ديوانه ١٠٦ ، ٢ / ٨٥٤ فى مدح المهتدى بالله وفى م « شمس النهار » .
(٢) ديوانه ١٦ « بحقواك » وفى ٣ / ١٦٢٧ كما هنا .
(٣) فى الديوان « وأحسن معقل » .
(٤) م « بحقويه » .
(٥) ديوانه ٢٣١ « ولاذت بحقويه » .
(٦) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .
(٧) ديوانه ٢٦٦ ، ٣ / ١٦٣١
(٨) ديوانه ٣٤ ، ١٣١١ .

أَعْطَاكُمُوهَا اللهُ عَنْ عِلْمٍ بِكُمْ واللهُ يعْطى مَنْ يَشَاءُ ويَمْنَعُ

وقال فى المعتز :

أَغَرُّ مِنَ الأَمْلَاكِ إِمَّا رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ أَبَا إِسْحَاقَ والقَرْم جَعْفَرَا(١)

تَقَدَّمَ فى حَقِّ الخِلَافَةِ سَهْمُهُ إِذَا رُدَّ عَنْها غَيْرُهُ فَتَأَخَّرَا(٢)

ويُصْبِحُ مَعْرُوفًا لَهُ الفَضْلُ دُونَهُمْ وَمَا يَتَدَعَّاهُ الأَبَاعِد مُنْكَرَا(٣)

وقال فى المتوكل :

فَضْلُ الخَلَائِفِ بالخلَافَةِ وَاقِفٌ فى الرُّتْبَةِ العُلْيَا ، وفَضْلُكَ أَفْضَل(٤)

أَوْفَيْتَ عَاشِرَهُمْ فَإِنْ نُسِبُوا إِلى كَرَمٍ وإِحْسَانٍ فَأَنْتَ الأَوَّلُ(٥)

وهذا غاية فى مدح الخلفاء .

وقال فى المتوكل أيضًا بفضله على الخلفاء ، وأحسن كلّ الإحسان :

وَمَا الخُلَفَاءُ لوْ جَارَوْكَ يَوْمًا بِمُعتلقيك رَأْيًا واعْتِزَامَا(٦)

أَلَسْتَ أَعَمَّهُمْ جُودًا وَأَزْكَا هُمُ عُودًا وأَمْضَاهُمْ حُسَامَا ؟

ولَوْ جُمِعَ الأَئِمَّةُ فى مَقَامٍ تَكُونُ بِه لَكُنْتَ لَهُمْ إِمَامَا

ولست أعرف لأبى تمام فى ذكر الخلافة غير ما قدمته .

---

(١) ديوانه ٧٦٣ ، ٩٣٢ وأبو إسحاق : المعتصم ، وجعفر : المتوكل .

(٢) فى الديوان « حق الإمامة . . . رد فيها » .

(٣) وفيه « يتداعاه » .

(٤) ديوانه ٢٦ ، ٣ / ١٧٥٧ .

(٥) فى الديوان « ألفيت عاشقهم فإن ندبوا » ! وفى طبعة المعارف « عاشرهم فإن ندبوا » .

(٦) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ وفى م « بمتاقيك » .

ومن مدح الخلفاء ذكر الملك والدولة

قال أبو تمام فى المعتصم :

بِالقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلِفِ اطَّأَدَتْ قَوَاعِدُ المُلْكِ مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوَلُ(١)

بِيُمْنِ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ لا أَوَدٌ بِالمُلْكِ مُذْ ضَمَّ قُطْرَيْهِ ، ولا خَلَلُ(٢)

قوله : « مُمْتَدًّا له الطُّوَلُ » . والطُّوَلُ : الحَبْلُ ، ولا وجه له هاهنا ، وليس يريد الطول بمعنى الزمان من قولهم : طَالَ طِيلُك وطِولُك وطِوَالُك ؛ لأن ذلك يكون اطأدت قواعد الملك ممتدًّا أزمانه ، ولا يصلح فى الحال هاهنا ، لأن الفعل وهو « اطَّأَدتُ » لا يكون عاملا فيها ؛ لا تقول : قد استقر البناءُ طويلا زمانه ؛ لأن استقراره ليس هو من طول مدته فى شىء ، وإنما تقول : قد استقر البناءُ جَيِّدًا عمله ، ومُتْقَنًا أساسه ، أو وَثِيقًا صنعته ، أو أن تقول : طويلا شرفه أو علوّه . وإلى هذا أذهب كأنه أراد واطَّأَدَتْ قواعد الملك مُمْتَدًّا له الطُّوَلُ أى رسا أصله ، وعلا فرعه ، كما قال البحترى فى المعتز بالله :

بِكَ اشْتَدَّ عَظْمُ المُلْكِ فيهِمْ فَأَصْبَحَتْ تَقِرُّ رَوَاسِيهِ وتَعْلُو مَرَاتِبُهْ(٣)

فجعل موضع تعلو مراتبه : « مُمْتَدًّا لَهُ الطُّوَلُ » ، وهذا غير حسن ولا لائق . بلى ، لو قال : « فَلْيُمْدَدْ له الطُّوَل » على الدعاء كان سائغًا ، إلَّا أنَّ « الطول » ها هنا على كل حال غير جيد ؛ لأنها لفظة مشتركة(٤) .

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٢٧ « اعتدلت » ومعنى « اطأدت : ثبتت » .

(٢) ويروى « بالدين مذ » .

(٣) ديوان البحترى ١٣٧ ، ١ / ٢١٨ .

(٤) م « سائغاً لا أن » .

وقال أبو تمام فى نحوه :

بِيُمْنِ أَبِى إِسْحَقَ طَالَتْ يَدُ الهُدَى وقَامَتْ قَنَاةُ المُلْكِ ، وَاشْتَدَّ كَاهِلُهْ(١)

وهذا بيت جيد . وقد قال قبله : . . . ؟ « وأَضْحَى المُلْكُ قَدْ شُقَّ بَازِلُهْ »(٢)

وكان أحدهما يغنى عن الآخر.

* * *

وقال البحترى فى المعتز :

أَقَامَ قَنَاةَ المُلْكِ بَعْدَ اعْوِجَاجِهَا وأَرْبَى عَلَى شَغْبِ العَدُوِّ المُشَاغِبِ(٣)

وقال البحترى :

مَلِكٌ حصَّنَتْ عَزِيمَتُه المُلْـ ـكَ فَأَضْحَتْ لَهُ مُعَانًا وَرِدْءَا(٤)

وقال فى تعظيم الملك ، فى المتوكل :

مُلْك كمُلْكِ سُلَيْمَانَ الذى خَضَعَتْ لَهُ البَرِيَّةُ قَاصِيها وَدَانِيهَا(٥)

* * *

وأجود من هذا قول أبى تمام فى المأمون :

فى دَوْلَةٍ لَحظَ الزَّمَانُ شُعَاعَها فَارْتَدَّ مُنْقَلِبًا بِعَيْنَىْ أَرْمَدِ(٦)

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٣٢ .

(٢) بقيته : « وقام فقام العدل فى كل بلدة خطيبا » .

(٣) ديوان البحترى ١٥٣ ، ١ / ١٠٩ « قناة الدين » .

(٤) ديوانه ١ / ١٢٨ مصر ، ١ / ٢١ بيروت « مغاثاً وردأ » وفى طبعة المعارف ٢ / ٧١٢ « معانا وردا » المعان : المنزل ، والمكان ، والحصن والردء : العون والناصر .

(٥) ديوان البحترى ٣٧ ، ٤ / ٢٤١١ .

(٦) ديوان أبى تمام ١١٢ وشرح التبريزى ٢ / ٤٨ وقبله :

فانتـــاش مصر من التيا والتى بتجـــاوز وتعطف وتغمـــد

انتاش : تناولها وخلصها . يقول : هذه دولة جيدة نافذة ، أراد الزمان غلبتها ، وأن ينظر إليها فأعشاه شعاعها ، فارتد رمدا » .

مَنْ كَانَ مَوْلِدُهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا أَو بَعْدَهَا فَكَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ[1]

وهذا من أجود ما يقال فى مدح دولة وأبلغه .

* * *

فأبو تمام فى هذا الباب – على إساءته فى الأبيات المتقدمة – أشعر من البحترى .

(١) قال التبريزى : « أى من لم يأخذ بالحظ من هذه الدولة ، إما أولا وإما آخراً فكأنه لم يولد » .

رفع المسهم

مما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم ذكر طاعتهم ، والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم

فمن ذلك قول البحترى فى المتوكل .

مُخَالِفُ أَمْرِكُمْ للهِ عَاصٍ ومُنْكِرُ حَقِّكُمْ لَاقٍ أَثَامَا[1]
وَلَيْسَ بمُسْلِمٍ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ وِلَايَتَكُمْ ولَوْ صَلَّى وَصَامَا

وفيه قوله :

نُصَلِّى وإِتْمَامُ الصَّلَاةِ اعْتِقَادُنَا بِأَنَّكَ عِنْدَ اللهِ خَيْرُ إِمَامِ[2]

وفيه قوله :

فَضَّل اللهُ جعْفرًا بِخِصَالٍ جَعَلَتْ حَبَّهُ عَلَى النَّاسِ فَرْضَا[3]

وفى المعتز بالله قوله :

مَنْ أَبَى حُبَّكُمْ فَلَيْسَ مِنَ اللَّـ ـهِ ولَوْ صَامَ أَلْفَ عَامٍ وصَلَّى[4]

وقال فيه :

قَضَى اللهُ للمعتز بالله أَنَّهُ هُوَ القائمُ العَدْلُ الرَّشيدُ المُوَفَّقُ[5]
مَحبَّتُه فَرْضٌ من اللهِ واجِبٌ وعصيانُهُ سُخْطٌ من الله مُوبِقُ

---

(١) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ – ٢٠١١ .
(٢) ديوانه ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ .
(٣) ديوانه ٢ / ١٢١٦ والصناعتين ٦٣ وفيهما « بخلال » .
(٤) ديوانه ١٥٦ « أبى حبهم » وفى طبعة المعارف ٢ / ١٦٥٧ كما هنا .
(٥) ديوانه ١٤٩ ، ٣ / ١٥٣٦ وفى م « بالمعتز » .

وقوله فى المهدى[١] :

أَقَرَّتْ لَهُ بِالفَضْلِ أُمَّةُ أَحْمَدٍ فَدَانَ لَهُ مُعْوَجُّهَا وقَوِيمُها[٢]
ولَوْ جَحَدَتْهُ ذلك الحقَّ لَمْ تَكُنْ لِتَبْرَحَ إلَّا والنُّجومُ رُجُومُها

* * *

ولست أعرف لأبى تمام فى هذه المعانى شيئًا .

---

(١) م « فى المهتدى » وهو تحريف .
(٢) ديوانه ١٠٨ ، ٣ / ٢٠٢٤ .

رفع المسهم

ذكر الآلة التى كانت للنبى صلى الله عليه وسلم فصارت إليهم

قال البحترى فى المتوكل :

عليك ثِيَابُ المُصْطَفَى ووقَارُهُ ... وأَنْتَ بِهِ أَوْلَى إذاحَصْحَصَ الأَمْرُ[1]
عِمَامَتُهُ ، وسَيْفُهُ ، ورِدَاؤُهُ ... وسِيمَاهُ ، والهَدْىُ المُشَاكِلُ ، والنَّجْرُ

وقال فيه :

يَتَوَلَّى النَّبِىُّ مَا تَتَوَلَّا ... هُ ويَرْضَى مِنْ سيرة ما تسير[2]
حُزْتَ مِيرَاثَهُ بِحَقٍّ مُبِينٍ ... كُلُّ حَقٍّ سِوَاهُ إِفْكٌ وزُورُ
فلك السيفُ ، والعمامةُ ، والخَا ... تَمُ ، والبُرْدُ ، والعَصَا ، والسَّرِيرُ

وقال فى المَهْدِىّ بالله :

إمامٌ إذا أَمضى الأُمور تتابعت ... على سَنَنٍ مِنْ قَصدِهَا وسَدَادِهَا[3]
متى يَتَعَمَّمْ بالسَّحَابِ تُلَثْ عَلَى ... كَفِىءٍ لَهَا مُحْتَازِإِرْثِ أَسْوِدَادِهَا[4]
وإِنْ يَتَقَلَّدْ ذَا الفِقَارِ يُضَفْ إِلَى ... شُجَاعِ قُرَيْشٍ فى الوغَى ، وجَوَادِهَا

وقال فى المعتز :

وقد تَرَكَ العباسُ عِنْدَكَ وَابْنُهُ ... عُلًا طُلْنَ مَرْمَى النَّجْمِ حَتَّى تَحَيَّرَا[5]
هُمَا وَرَّثَاكَ ذَا الفِقَارِ وصَيَّرَا ... إِلَيْكَ القَضِيبَ والرِّدَاءَ المُحَبَّرَا

---

(١) ديوان البحترى ٧٥٩ ، ٢ / ٩٩٣ .
(٢) ديوانه ٧٦٦ ، ٢ / ٩٠٢ « ماتتولاه » و « يرضى من سيره » .
(٣) الأبيات فى ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٥ – ٦٧٦ ومن العجيب أن الأول منها ورد فى الديوان ٣٨ ضمن قصيدة يمدح المتوكل .
(٤) م « لها محتار إرث » .
(٥) ديوانه ٧٦٤ ، ٢ / ٩٣٤ .

رفع المسهم

وأىُّ سَنَاءٍ لَسْتَ أَهْلًا لِفضْلِهِ وأَوْلَى به مِنْ كُلِّ حَيٍّ وأَجْدَرَا
وأَنْتَ ابنُ مَنْ أَسْقَى الحَجِيجَ عَلَى الظَّمَا وناشَدَ فى المَحْلِ السَّحَابَ فأَمْطَرَا

* * *

وقال أبو تمام فى نحو هذا يمدح الواثق :

قومٌ غَدَا الميراثُ مَضْرُوبًا لَهُمْ سُوَرٌ عليهِ مِنَ القُرَانِ حَصِينُ[1]
فِيهِمْ سكِينةُ رَبِّهِمْ وَكِتَابُهُ وإِمَامَتَاهُ وَاسْمُهُ المَخْزُونُ

فالسَّكينة وزنها فَعِيلة ، من السكون وهو الوقار . وهذه لفظة لا تلائم البيت كلَّ الملاءمة ؛ لأنه لا وجه لأن يقول فيهم : وَقارُ رَبِّهِمْ ، لا سيما وقد قال : كِتَابُهُ وإِمَامَتَاهُ وَاسْمُهُ المَخْزُون . فالوَقَارُ ليس من هذه الأشياء فى شىءٍ[2].

والسَّكينة التى فى قوله عز وجل : ﴿ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[3] ، وقد قيل فى تفسيرها : إنها حيوان له وجه مثل وجه الإنسان . وقيل : لها رأس مثل رأس الهرّة وله جناحان . وقيل : بل هى ريح هَفَّافة . وقيل : هى شىءٌ من أمر الله عز وجل[4] — فإن كان هذه أراد فما كان ينبغى أن يدّعى للقوم[5] مالا يدعونه لأنفسهم .

وقوله : « وإِمَامَتَاهُ » يعنى النبوة والخلافة .

« واسمه المخزون » يعنى اسم الله الأعظم الذى إذا دُعى به جل وعز أجاب .

---

(١) ديوان أبى تمام ٣٣٠ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٧ .

(٢) م « فى الشىء » .

(٣) سورة البقرة : ٢٤٨ .

(٤) راجع اختلاف أهل التأويل فى معنى السكينة ، فى تفسير الطبرى ٥ / ٣٢٦ — ٣٣٠ طبع دار المعارف . وقال أبو جعفر الطبرى : أن أولى الأقوال بالحق ما قاله عطاء بن أبى رباح : من الشىء تسكن إليه النفوس من الآيات التى يعرفونها » .

(٥) م « القوم » .

ومن المجد والشرف فى مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم

نحو قول البحترى فى المعتز :

لَكُمُ زَمْزَمٌ وأَفْنِيَةُ الكَعْـ ـبَةِ والحِجْرُ والصَّفَا والمُصَلَّى[1]

وقوله فى المتوكل :

نَعُدُّ لَكَ السِّقَايَةَ والمُصَلَّى وأَرْكَانَ البَنِيَّة والمَقَامَا[2]
مَكَارِمُ قَدْ وَزَنْتَ بها ثَبِيرًا فَلَمْ يَرْجَحْ ، وطُلْتَ بِهَا شِمَامَا[3]

وقوله فى المتوكل :

لَكُمْ كلُّ بَطْحَاءٍ بِمَكَّةَ إِذْ غَدَا لِغَيْرِكُمُ ظُهْرَانُهَا وجِبَالُها[4]
وأَنتم بَنُو عَمِّ النَّبِى مُحَمَّدٍ يَمِينُ قُرَيْشٍ إِذْ سَوَاكُمْ شِمَالُهَا[5]

وقال فيه :

شَرفًا بَنِى العَبَّاسِ إِنَّ أَبَاكُمُ عَمُّ النَّبِىِّ وعِيصُهُ المُتَفَرِّعُ[6]
إِنَّ الفَضِيلَةَ اللَّذى اسْتَسْقَى به عُمَرٌ وشُفِّعَ إِذ غَدَا يَسْتَشْفعُ
مَنْ ذَا يُسَاجِلُكُمْ وحَوْضُ مُحَمَّدٍ بِسِقَايَةِ العباسِ فِيكُمْ يَشْفَعُ

---

(١) ديوان البحترى ١٥٦ ، ٣ / ١٦٥٧ « لهم » .
(٢) ديوانه ٣٠ ، ٣ / ٢٠١٠ « ثبيراً فلم تنقص » .
(٣) م « قد ورثت . . . فلم ترجح » وشمام : جبل بالعالية .
(٤) ديوانه ٢٦٦ ، ٣ / ١٦٣١
(٥) فى الديوان « وأنتم بنى العباس عم محمد » .
(٦) ديوانه ٣٤ ، ٢ / ١٣١١ .

رفع المسهم

وقال فى المعتز :

إمَامُ هُدًى تَأْوِى بِهِ مَكْرُمَاتُهُ ... إلى مَرْتَعٍ مِنْ بَطْنِ مَكةَ أَفْيَحِ[1]

له شَرَفُ البيتِ الحَرَامِ وفَخْرُهُ ... وزَمْزَمَ والرُّكْنِ العَتيقِ الْمُمَسَّح

أراد شرف زمزم .

(١) ديوانه ٦٣٢ ، ١ / ٤٥٢ – ٤٥٣ « إلى مربع » .

ومن باب السؤدد والشرف ذكر علوّ القدر وعظيم الفضل

قال أبو تمام :

اللهُ أَكبَرُ جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ فَتَعَثَّرَتْ فى كُنْهِهِ الأَوْهَامُ[1]
مَنْ لَا يُحِيطُ الواصِفُون بِقَدْرِهِ حَتَّى يَقُولُوا قَدْرُهُ إِلْهَامُ

قوله : « الله أكبر » . يقول فيما أظنه عند قدوم المأمون من خراسان ، أى الله أكبر من كل أحد ، قد جاء أَكْبَرُ من جرت فتعثرت فى كنهه الأوهام .

وكُنْهُ الشىء : غاية صِفَتِه .

وقوله : « حتّى يقولوا قَدْرُه إلهامُ » من جنونه ؛ لأن الإلهام هو ما يلقيه الله ، عز وجل ، فى قلب الإنسان حتى يعرفه بغير تَعَرُّف ، ويعلمه من غير تَعَلُّم ، فيقول : لا يحاط بقدره إلا أن يكون ذلك إلهامًا من الله ، جل وعز ، فيعرف .

وقَدْرُ كلِّ شىء : هو مَبْلَغُه ، تقول : سرنا قَدْرَ مِيل ، وقدر فَرْسخٍ ، وأخذت منه قدر عشرين درهمًا ، أى مبلغ عشرين .

وإنما سمع الناس يقولون ، هذا أمر لا يُقْدَرُ قدره ، وسمع قول الله عز وجل : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[2] ، قيل فى التفسير : ما عرفوه حق معرفته . فأراد أن يَنْحُوَ بِقَدْرِ المأمون هذا النَّحْو فأخرجه بهذه العبارة المُسْتَكْرَهة . يريد أن قَدْرَه لا يُعرف إلا بالإلهام من الله جلّ جلاله .

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٧٩ ز وشرح التبريزى ٣ / ١٥٣ وقد سبق الأول .

(٢) سورة الزمر ٦٧ .

وقد كان يكفى من هذا العويص الذى جاء به أن يقول كما قال البحترى فى المتوكل :

وأَنْتَ ـ أَمينَ الله ـ بِالمَوْضعِ الذى أَبَى اللهُ أَنْ يَسْمُو إلى قَدْرِه قَدْر[1]

فجعل قدره فوق [قدر] كلِّ ذى قَدْر . ومثل هذا لا يقال إلا لخليفة أو لأفضل الناس من أهل بيت النبوة .

وقد أفرط البحترى فى مدح إبراهيم بن المدبر ، وإن كان لم يُصَرِّح فى تفضيل قدره ، وذلك قوله :

دَنَوْتَ تَوَاضُعًا ، وعَلَوْتَ قَدْرًا فَشَأْنَاكَ انْحِدَارٌ وارْتِفَاعُ[2]

كَذَاكَ الشَّمْسُ يَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى ويَدْنُو الضَّوْءُ مِنْها والشُّعَاعُ

وما قيل فى التواضع ألطف من هذا ولا أحسن . ولو مدح خليفة بالتواضع لما وجد شيئًا يليق به غير هذا الوصف أو معناه.

* * *

وقال أبو تمام فى المعتصم مادة (؟) فضل على فضله كل أحد من الناس .

إلى قُطُبِ الدُّنيا الَّذى لَوْ بِفَضْلِهِ مَدحتُ بنِى الدنيا كَفَتْهمْ فَضَائِلُه[3]

وهذا تفضيل فى غاية الاستقصاء والجودة والحسن والصحة ، ولا يقال مثله إلا لخليفة من أفضل الخلفاء ؛ لقوله : مدحت بنى الدنيا .

---

(١) ديوانه ٤٥٦ ، ٢ / ٩٩٢ .

(٢) ديوانه ٢٢٨ ، ٢ / ١٢٤٧ « وبعدت قدرا فشأناك » .

(٣) ديوان أبى تمام ٢٣٠ وشرح التبريزى ٣ / ٢٥ .

ومثله فى الجودة ، بل يزيد عليه ـ قول البحترى فى المتوكل :

يا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ حقًّا ، ويا أَزْ كَى قريشٍ نفسًا ودِينًا وعِرْضَا[1]

بِنْت بالفَضْلِ والعُلُوِّ فَأَصْبَحْ تَ سَمَاءً وأَصْبَحَ النَّاسُ أَرْضَا

ولو قال قائل مثل هذا لغير خليفة لكان قد تجشم أعظم الخطإ إذ ليس أحد من الناس يطالبه بأن يمدحه هذا المدح ، ولا أن يفضِّله هذا التفضيل .

وقال البحترى أيضًا فى المهدى[2] :

أَقَرَّتْ لَهُ بالفَضْلِ أمةُ أَحْمَد فَدانَ لَهُ مُعْوَجُّهَا وَقَوِيمُهَا[3]

والتفضيلُ الحَسنُ الذى لا غُلوَّ فيه وكأن قائله قد غلا ـ قولُ البحترى أيضًا فى أبى ليلى الحارث بن عبد العزيز بن دُلَف :

يَبينُ بالفضل أقوامٌ فيفضُلُهم مُوَحَّدُ بِغَرِيبِ الذِّكْرِ مُنْفَرِدُ[4]

تَوَحَّدَ القَمَر السَّارِى بِشُهْرَتِهِ وأَنْجُمُ اللَّيْلِ نَثْرٌ حَوْلَهُ بَدَدُ

ومثله فى الحسن قولُه فى الفَتْح :

ولَمَّا جَرَى فى المَجدِ والقَوْمُ خَلْفَهُ تَغَوَّلَ أَقْصَى جُهْدِهِمْ وَهْوَ وَادِعُ[5]

وهَلْ يَتَكَافَا النَّاسُ شَتَّى خِلَالُهُمْ وَمَا تَتَكَافَا فى اليَدَيْنِ الأَصَابِعُ؟

---

(١) ديوان البحترى ٢٢ ، ٢ / ١٢١٦ وفى م « حقا ويا ركن قريش » .

(٢) م « المهتدى » وهو خطأ .

(٣) ديوانه ١٠٨ ، ٣ / ٢٠٢٤ وقد سبق هذ البيت ص ٣٤٤ .

(٤) ديوانه ٧٧٤ ورواية شطر البيت الأول فيه «تنازع المجد أمجاد فقاتهم». وطبعة المعارف ٢/٦٤٦.

(٥) ديوانه ٧٢ ، ٢ / ١٣٠٣ ، « جرى للمجد » .

وهذا كلُّه عجيب فى معانيه . ولكنهما فى معانيهما حَنْوٌ على قول مَعْن ابن أَوْس :

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ امْرِئٍ مُتَطَاوِلٍ يَدَ المَجْدِ إلَّا حَيْثُ مَانِلْتَ أَطْوَلُ(١)

وما بلغ المُهْدونَ فى القَوْلِ مِدْحَةً ولوْ أَكْثَرُوا إلَّا الذى فيك أَفْضَلُ(٢)

---

(١) فى ديوانه ١٣ « من المجد » والبيت فى مدح سعيد بن العاص .

(٢) م « بلغ المهدى » وفى ديوانه : « المهدون نحوك » .

رفع المسهم

ومن باب المجد والسؤدد

قول أبي تمام في المأمون :

هَدَمَتْ مَسَاعِيهِ المَسَاعِي وَابْتَنَتْ ... خِطَطَ المَكَارِمِ فِي عِرَاضِ الفَرْقَدِ(١)
سَبَقَتْ خُطَى الأَيامِ عُمْرِيَّاتُهَا ... وَمَضَتْ فَصَارَتْ مُسْنَدًا لِلْمُسْنَدِ
مَا زَالَ يَمْتَحِقُ العُلا وَيَرُوضُهَا ... حَتى اتقَتْهُ بِكِيمِياءِ السُّؤْدُدِ(٢)

قوله : « سَبَقَتْ خُطَى الأَيامِ » أي طاوَلَت الدهر في البقاء ، فجعل مطاولتها للدهر سيرًا مع الدهر ، فلذلك قال : « سبقت خطى الأَيام » « عُمْرِيَّاتها » : واحدها عُمْرِيَّةٍ ، منسوبة إلى العُمْر .

وقوله : « مَضَت فَصَارَتْ مُسْنَدًا للمُسْنَدِ » ، فالمسند : الدهر ، أي صارت دَهْرًا للدَّهْر .

وهذا من كلام أهل الوَسْوَاس والخَطَرات وأصحاب السوْدَاء .

وقوله : « بِكِيمِياءِ السُّؤْدُدِ » مما أنكروه عليه .

وقد أتى به « بَكْرُ بنُ النطاح » في موضِعه فقال :

مَدْحُ ابنَ عِيسَى قَاسِمٍ فَاشْدُدْ بِهِ ... كِلْتَا يَدَيْكَ الكِيمْيَاءُ الأَعْظَمُ(٣)
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الدهْرِ إلا دِرْهَمٌ ... وَمَدَحْتَهُ لأَتَاكَ ذاكَ الدِّرْهَمُ

* * *

(١) ديوان أبي تمام ١١٢ وشرح التبريزي ٢ / ٥٠ وفي م « في عراض الفدفد » .

(٢) م « ما زال يمتحق » .

(٣) م « عيسى قاسى » ! والقاسم بن عيسى : هو أبو دلف العجلي ، أمير الكرخ ، المتوفى سنة ٢٢٦ هـ وترجمته في تاريخ بغداد ١٢ / ٤٧٦ والأغاني ٧ / ٢٤٨ طبع دار الكتب وانظر أخباره مع بكر بن النطاح في الأغاني ١٥٣/١٧ طبع بولاق .

وقال البحترى فى المُهْتَدِى :

وللمُهْتَدِى باللهِ مَجْدٌ لو ارْتَقَتْ إليه النُّجُومُ رِفْعَةً ما تَهَدَّتِ[1]

وهذا أبلغ من قول أبى تمام : « وابْتَنَت خِطَطُ المَكَارِمِ فى عِرَاضِ الفَرْقَدِ »[2] .

* * *

ولهما فى السؤدد والمجد والشرف فى مدح سائر الناس ما أذكره مِنْ بَعْدُ فى تأييد الدين وتقوية أمره .

وواجب أن يمدح الخليفة بهذا المعنى .

* * *

قال أبو تمام فى مدح المعتصم :

بِمُعْتَصِمٍ باللهِ قَدْ عُصِمَتْ بِهِ عُرَا الدِّينِ وَالْتَفَّتْ عَلَيه وَسَائِلُهْ[3]

وهذا كان يصلح أن يقال لمن له نباهة وديانة وقولٌ بحق ، ولكن خصصه بالخليفة قوله : « وَالْتَفَّتْ عليهِ وَسَائِلُهْ »

وقال فى الواثق :

بِهَارُونَ عَزَّ الدِّينُ وَاشْتَدَّ رُكْنُهُ وَدَانَتْ دَوَانِيهِ وَقُرِّبَ شَاسِعُهْ[4]

* * *

وقال البحترى فى المتوكل :

خَلَقَ اللهُ جَعْفَرًا قَيِّمَ الدُّنْ يَا سَدَادًا ، وَقَيِّمِ الدِّينِ رُشْدَا[5]

---

(١) ديوان البحترى ٧٥٣ « مجد لو ابتغت مداه النجوم رفعة » وفى م « رقعة » وطبعة المعارف ١ / ٣٧٠ .

(٢) م « الفدفد » .

(٣) ديوان أبى تمام ٢٣١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٦ .

(٤) م « يهزون عز . . . وقرى شاسعة » .

(٥) ديوان البحترى ٢٠ ، ٢ / ٧١٢ .

رفع المسهم

فاختص هذا القول بالخليفة ؛ لأنه جعله قيِّمًا على الدين والدنيا ، ولا يجوز أن يقال هذا لغير خليفة إلا أن يكون نائبًا عنه .

وقال مثل ذلك فى المُعْتَزِّ بالله :

لَقَدْ حَمَلَ الخِلَافَةَ مُسْتَقِلٌّ بِهَا وبِحَقِّه فيها المُبِينِ[1]
يَسُوسُ الدِّين والدُّنْيا بِرَأْيٍ رِضًا للهِ فى دُنْيَا وَدِين

وقال عبد الله بن السِّمْط بن مروان فى المأْمون :

أَضْحَى إمَامُ الهُدَى المَأْمُونُ مُشْتَغِلًا بالدِّينِ والنَّاسُ فى الدنيا مشَاغِيلُ[2]

فلم يهشّ له ، فشكى ذلك عبد الله ، فقيل له : ما زدت على أن جعلته عجوزًا فى محرابها ومعها سبحتها .

فألا قلت كما قال جرير فى عمر بن عبد العزيز[3] :

فَلَا هْوَ فى الدُّنيا مُضِيعٌ نَصِيبَهُ ولا عَرَضُ الدنيا عن الدينِ شَاغِلُهْ[4]

وقال ابن هَرْمَة :

فَــرغْتَ لِدين الله تَرْفَعُ وَهْيَــهُ وما بِكَ عَنْ كَسْبِ المَحَامِدِ مِنْ شُغْل

فَحَذَا حَذْوَ قول جرير .

وقال البحترى أيضًا فى المتوكل مما لا يقال إلا لِخليفة إلا أن يفرّط مفرّط. فيقوله لغيره :

---

(١) ديوان البحترى ١٣٨ ، ٤ / ٢٢٦٧ .
(٢) سر الفصاحة ٢٤٨ والصناعتين ١١٩ .
(٣) فى ديوان جرير ٤٣٤ « وقال يمدح عبد العزيز بن الوليد » .
(٤) فى الديوان ٤٣٥ « من الدنيا » .

حَلَفْتُ بِمَنْ أَدْعُوهُ رَبًّا ومَنْ لَهُ صَلَاتِي، ونُسْكِي خَالِصًا، وصِيَامِي[١]
لَقَدْ حُطْتَ دينَ اللهِ خَيْرَ حِيَاطَةٍ وقُمْتَ بِأَمْرِ اللهِ خَيْرَ قِيَامِ

وقال البحترى فى المتوكل :

عَلِمَ اللهُ كَيفَ أَنْتَ فَأَعْطَا كَ المَحَلَّ الرَّفِيعَ مِنْ سُلْطَانِهْ[٢]
جَعَلَ الدينَ فى ضَمَانِكَ والدُّنْ يا فَعِشْ سالِمًا لَنَا فى ضَمَانِهْ

وهذا لا يكون إلا لخليفة .

وقال فى المُعْتَزِّ بالله :

مَا زَالَ يَكْلأُ دِيننَا ويَحُوطُهُ بالمَشْرَفِيَّةِ والوَشِيجِ الذُّبَّلِ[٣]

وهذا يصلح أن يقال لبعض ولاة الثغور وغيرهم من الولاة ولا يخص الخليفة .

وليس ذلك بعيب فى مدح الخلفاء ، ولكن إذا كان مما يخص الخليفة دون غيره كان ذلك أمدح له .

والعيب على الشاعر أن يمدح غير الخليفة بما لا يستحقه إلا الخليفة .

وقال فى المهتدى بالله مما يختص بالخليفة :

هَنَتْكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَوَاهِبٌ من اللهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيمُها[٤]
وَتَأْيِيدُ دِينِ اللهِ إِذْ رُدَّ أَمْرُهُ إليك فَرَوَّى فى الأُمُورِ عَلِيمُها

فخصّصه قوله : «وتأييدُ دين الله إذ رَدَّ أَمْرَهُ إليك» .

---

(١) ديوان البحترى ١٢ ، ٣ / ٢٠٠٣ وما أسخف قوله : « حلفت بمن أدعوه ربا » ! !

(٢) ديوانه ٣٦ ، ٤ / ٢١٧٠ « المحل الجليل » .

(٣) ديوانه ١ / ١٦ طبع بيروت ، ٢ / ١٥٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦٢٦ طبع المعارف ورواية الشطر الأول فيها « بكرت جيادك والفوارس فوقها »

والمشرفية : السيوف المنسوبة إلى مشارف اليمن ، والوشيج : الخشب الذى تصنع منه الرماح . وذبل : مفردها ذابل وهو الدقيق الملتصق الليط .

(٤) ديوانه ١٠٨ .

رفع المسهم

وقال أبو تمام فى تقوية الإسلام :

أَمْسَى بِكَ الإِسلامُ بَدْرًا بَعْدَما مُحِقَتْ بَشَاشَتُهُ مُحَاقَ هِلالِ[1]

أَكْمَلْت مِنْهُ كُلَّ نَقْصٍ بَعْدَمَا نَقَصَتْهُ أَيْدِى الكُفْرِ بَعْدَ كَمَالِ[2]

أَلْبَسْتَهُ أَيَّامَك الغُرَّ التى أَيَّامُ غيرِكَ عِنْدَهُنَّ لَيَالِ

إنما قال : « أمسى » ولم يقل : « أضحى » من أجل قوله : « بدرًا » ؛ لأنَّ البدر لا ضوء له فى الضحى .

وهذا يصلح أن يقال لوزير ولوالى الثغور ، وإن كان فى غاية الجودة .

وقال البحترى فى المتوكل :

يَا كَالِئَ الإِسْلَامِ فى غَفَلَاتِهِ ومُقِيمَ نَهْجَىْ حجِّه وجهادِهِ[3]

وقال أبو تمام فى مديح محمد بن عبد الملك :

إنَّ الخَلِيفَةَ قَدْ عَزَّتْ بِمَوْلَتِهِ دَعَائِمُ الدِّينِ فَلْيَعْزِزْ بِه الأَدبُ[4]

ودعائم الدين قد توصف بأنها ثبتت ، وتمكّنت ، وأقامت ، وتوطّدت ، فهذا هو اللفظ المستعمل فيها ، ألا ترى أنها إذا وُصفت بضد هذا الوصف قيل : وهت ، وسقطت ، وخرّت . ولا يقال : ذلّت . وإنما قال : « عزّت » من أجل قوله : « فليعزز به الأدب » . وهذا وإن لم يكن خطأ فليس بالجيد ؛ لأنه لفظ موضوع فى غير موضعه .

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٦٥ وشرح التبريزى ٣ / ١٤٤ .

(٢) فى الديوان « منه بعد نقص كل ما » .

(٣) ديوانه ٤٣ ، ٢ / ٧٠٤ والكالئ : الراعى والحافظ ، والنهج : الطريق .

(٤) ديوان أبى تمام ٥٠ وشرح التبريزى ١٥ / ٢٦٣ ويروى : « بك الأدب » .

وقال أبو تمام فى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبِى :

تَرْضَى السُّيوفُ بِهِ فى الرَّوْعِ مُنْتَصِرًا ويَغْضَبُ الدينُ والدُّنْيَا إذَا غَضِبَا[1]

وهذا مدح لا يليق إلا بأفضل الخلفاء ، وسبيل الشاعر أن يتفقد مثل هذا ؛ فقد جرت به على قوم من الشعراء سَلَكُوا دُونَ هذا المسلك ـ مَكَارِهُ ، وكان الحرمانُ أحسن أحوالهم التى عادوا بها .

ونحو هذا قوله فى محمد بن يوسف :

حياتُكَ للدنيا حياةٌ ظَلِيلَةٌ وفَقْدُك للدنيا فناءٌ مُوَاشِكُ[2]

وهذا عموم ؛ لذكره الدنيا . ولا يصلح أن يكون إلا لخليفة ، أو من ينفذ فى أكثر بلاد الله أمرُهُ .

وهذا متجاوز لقدر محمد بن يوسف ، وفى المَمَادِح التى تُرْضِى المَمْدُوحِين مُتَّسَع .

* * *

وهو فى هذا الباب أشعر من البحترى .

---

(١) ديوان أبى تمام ٢١ وشرح التبريزى ١ / ٢٤١ .

(٢) ديوانه ٢٢٦ وشرح التبريزى ٢ / ٤٦٧ .

رفع المسهم

ومما يجب فى مدح الخلفاء ، كانت تلك حالهم أولم تكن ، ذِكْرُ التُّقى والورع

قال أبو تمام فى المأمون :

يَتَجَنَّبُ الآثَامَ ثُمَّ يَخَافُها فكأَنَّمَا حسناته آثَامُ(١)

هذا وصف لطاعة الله حَسَنٌ مُسْتَقْصى . ولكنه ألَمّ بمعنى قول أبى العتاهية :

يعْتَدُّ بِإِحْسَانِ كُلِّ مُحْسِنٍ إليه بَعْدَ إِسَاءة كانَ مِنْهُ (؟)

وعكس أبو تمام المعنى :

لَمْ تَنْتَقِصْنِى إِذْ أَسَأْتَ ، وزِدْتَنى حَتَّى كَأَنَّ إِسَاءَتِى إِحْسَانِى

بيت أبى تمام هذا من بيت أبى العتاهية(٢) .

* * *

وقال البحترى فى المهتدى بالله :

مُزَايِدُ نَفْسٍ فى تُقَى اللهِ لم تَدَعْ لَهُ غَايَةً فى جِدِّها وَاجْتِهَادِها(٣)

وما نَقَلَتْ مِنْهُ الخِلَافَةُ شِيمَةً وقَدْ مَكَّنَتْهُ عَنْوَةً مِنْ قِيَادِها(٤)

ولا مَالَتِ الدُّنْيَا بِهِ حِينَ أَشْرَقَتْ له فى تَنَاهى حُسْنِها وَاحْتِشَادِها

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٨٠ وشرح التبريزى ٣ / ١٥٣ وفى م « حسناتها » .

(٢) م « وهذا بيت أبى تمام من » .

(٣) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٦ . وفى م « لم يدع » .

(٤) ل « نفلت » وفى الديوان « أمكنته » .

وقال فى المعتمد :

مِلِكٌ تُحَيِّيهِ الملوكُ ودُونَهُ سِيمَا التُّقَى وتَخَشُّعُ الزُّهَّادِ[١]
مُتَهَجِّدٌ يُخْفِى الصَّلَاة وقَدْ أَبَى إِخْفَاءَهَا أَثَرُ السُّجُودِ البَادِى[٢]

وقال فى المهدى[٣] :

فَضَلَ الأَنَامَ أُرُومَةً مَحْمُودَةً وتُقًى وأَنْعَمَ فى الأَنَامِ وأَفْضَلا[٤]

وقال فى المعتز بالله :

يتَقَبَّلُ المُعْتَزُّ فَضْلَ جُدُودِهِ بِخِلَالِ مَحْمُودِ الخِلَالِ مُوَفَّقِ[٥]
وَيَظَلُّ يُخْشَى فى الإله ويُتَّقَى فيه كما يَخْشَى الإلهَ ويَتَّقَى[٦]

* * *

ومع وصف الخليفة بالتقى والورع يجب أن يوصف بالرأفة والرحمة .

قال أبو تمام فى المعتصم :

رَعَى اللهُ فيهِ للرَّعية رَأفَةً تُزَايِلُهُ الدُّنْيَا ، ولَيْسَتْ تُزَايِلُهْ[٧]
فَأَضْحَى وَقَدْ فَاضَتْ إِلَيْهِ قُلُوبُهُمْ ورَحْمَتُهُ فيهِمْ تَفِيضُ ، ونَائِلُهْ[٨]

فقوله : « فاضَت إليه قُلُوبهم » ليس بالجيد ؛ لأن هذه لفظة غير مستعملة فى مثل هذا . وإنما قال ذلك من أجل قوله : « ورَحْمَتُه فيهم تفيض » .

---

(١) ديوان البحترى ١٦٣ ، ٢ / ٧٣٢ وفى م « تحيته » .
(٢) م « وقد أتى » .
(٣) فى ديوانه ١٤٣ ، ٣ / ١٦٥٣ « وقال يمدح المعتز بالله » .
(٤) فى الديوان : « أرومة مذكورة » .
(٥) ديوانه ٦٢٥ ، ٣ / ١٤٨١ .
(٦) م « كما تخشى الإله وتتقى » .
(٧) ديوان أبى تمام ٢٣١ وشرح التبريزى ٣ / ٢٦ .
(٨) فى الديوان وشرحه « فأضحوا » .

وقال فى الواثق :

فَغَدَوْا وقَدْ وَثِقُوا بِرَأفَةِ واثِقٍ بِاللهِ طائِرُهُ لَهُمْ مَيْمُونُ(١)

* * *

وقال البحترى فى المتوكل :

يُحَبِّبُهُ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ أَنَّهُ يُذَبِّبُ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ ويُحَامِى(٢)
وأَنَّ لَهُ عَطْفًا عليْهم وَرَأفَةً وفَضْلَ أَيَادٍ بالعَطَاءِ جِسَامِ(٣)

* * *

وليس لأحدهما فضل فى هذا الباب على صاحبه .

(١) ديوان أبى تمام ٣٢٩ وشرح التبريزى ٣ / ٣٢٥ .
(٢) ديوان البحترى ١١ « عن أطرافها » .
(٣) م « عطفا عليه » وفى الديوان « عليها ورقة » .

ما قالاه فى الجمال ، والجلال ، والهيبة ، والبهاء ، والجهارة

قال أبو تمام :

إنَّا غَدَوْنَا وَاثِقِينِ بِوَاثِقٍ بِاللهِ شمسِ ضُحًى وبَدْرِ تَمَامِ [1]

ثم قال بعد فى القصيدة :

مَا أَحْسبُ البَدْرَ المُنِيرَ إذا بَدَا بَدْرًا بِأَضْوَأَ مِنْكَ فى الأَوْهَامِ [2]

قوله : « فى الأَوْهَام » قد عيبَ به ، وقيل لم يجعله مضيئًا فى العين ، وجعله مضيئًا فى الأوهام . والذى ذهب إليه أبو تمام معنى صحيح ؛ لأن وجه الإنسان لا يكون أضوأ من البدر ، فجعله أَضْوأَ منه فى الصدور وفى النفوس ، يريد الجلال والهَيْبَة .

وأجود من هذا قول محمد بن وهيب :

تُعَظِّمُهُ الأَوْهَامُ قَبْلَ عِيَانِهِ ويصْدُرُ عَنْهُ الطَّرْفُ والطَّرْفُ حَاسِرُ

وأحسن من قول ابن [3] وهيب قول الأَحْوَص :

ترَاهُمُ خُضُعَ الأَبْصَارِ هَيْبَتَهُ كما اسْتكَانَ لِضَوْءِ الشَّارِقِ الرَّمِدُ

* * *

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيَد :

كالبَدْرِ حُسْنًا ، وقد يُعَاوِدُهُ عُبُوسُ لَيْثِ العَرِينِ فى عَبَدِهْ [4]

---

(١) ديوان أبى تمام ٢٧٦ وشرح التبريزى ٣ / ٢٠٤ ويروى « إنا رحلنا » .

(٢) فى الديوان وشرحه « ما أحسب القمر » .

(٣) م « أبى وهيب » وهو خطأ .

(٤) ديوان أبى تمام ٩٤ وشرح التبريزى ١ / ٤٤٦ فى عبده : أى أنف .

كالسَّيْفِ يُعْطِيكَ مِلْءَ عَيْنَيْكَ مِنْ فِرِنْدِهِ تارَةً ومِنْ رُبَدِهْ (١)

وهذا غاية فى حسنه وصحته وبراعته .

وقال فى جعفر الخَيَّاط :

فَتًى فى يدَيْهِ البَأْسُ يَضْحَكُ والنَّدَى وفى سَرْحِهِ بَدْرٌ ولَيْثٌ غَضَنْفَرُ (٢)

وهذا مأخوذ من قول مسلم بن الوَلِيد :

تَمْضِى المَنَايَا كما تمْضِى أَسِنَّتُهُ كَأَنَّ فى سَرْحِهِ بَدْرًا وضِرْغَامَا (٣)

وقد أحسن محمد بن وُهَيْب كُلَّ الإحسان فى قوله :

وكَأَنَّ ضَوْءَ جَبِينِهِ قَمَرٌ و[كأَنَّ] سائِرَ خَلْقِهِ أَسَدُ

* * *

وقال أبو تمام فى خالد بن يزيد بن مَزْيد :

وقَدْ كَانَ مِمَّا يُضِىءُ السَّرِيـ رُ والبَهْوُ يَمْلَؤُهُ بالبَهَاءِ (٤)

مَضَى خَالد بنُ يزيد [بن] مَزْ يدٍ قَمَرُ الليلِ شمسُ الضَّحَاءِ

وهذا يَمَرٌّ فى « المراثى » .

* * *

وقال البحترى فى المهتدى بالله :

زَادَ فى بَهْجَةِ الخِلَافَةِ نُورًا فَهْوَ شَمْسُ النَّهار وهْى نَهَارُ (٥)

طَلَعَةٌ تَمْلَأُ القُلُوبَ ووَجْهٌ خَشَعَتْ دُونَ ضَوْئِهِ الأَبْصَارُ

---

(١) الربد : جمع ربدة ، وهى كالكلف فيه .

(٢) ديوان أبى تمام ١٥٩ وشرح التبريزى ٢ / ٢١٥ « من يديه » .

(٣) ديوان مسلم بن الوليد ٣٩ « أى أسنته والمنايا سواء ، تفعل أسنته ما تفعل المنايا ، كأن فى سرجه بدراً فى فخامة الخلق وحسن المنظر ، وليثا فى الشجاعة . وصفه بالنجدة » .

(٤) ديوان أبى تمام ٣٤٨ .

(٥) ديوان البحترى ١٠٦ و ٢ / ٨٥٤ .

رفع المسهم

ذَكَرُوا الهُدَى مِنْ أَبِيكَ وقَالُوا هُوَ ذَاكَ السِّيما وذَاكَ النِّجَارُ (١)
وعليهمْ سكينةٌ لكَ إلَّا مَدَّ أَيْدٍ يَومًا بها ويُشَارُ
بُهِتُوا حَيْرَةً وصَمْتًا فَلَوْ قِيـ لَ : أَحِيرُوا مَقَالَةً مَا أَحَارُوا (٢)
وقَلِيلٌ إنْ أَكْبرُوكَ لَكَ الهَيْـ بَةُ مِمَّنْ رَآكَ والإِكْبَارُ

وقال فى المتوكل لما خرج لصلاة العيد :

وأَفْتَنَّ فيك النَّاظِرُونَ : فَإِصْبَعٌ يُومَا إليكَ بها ، وعَيْنٌ تَنْظُرُ (٣)
يَجِدُونَ رَوْيَتَكَ التى فَازُوا بِهَا مِنْ أَنْعُمِ اللهِ التى لَا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النبىَّ فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ وكَبَّرُوا
حتَّى انْتَهَيْتَ إلى المُصَلَّى لَابِسًا نُورَ الهُدَى يَبْدُو عليكَ ويَظْهَرُ
ومَشَيْتَ مِشْيَةَ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ للهِ لَا يَزْهُو ، ولا يَتَكَبَّرُ (٤)
وَلَوَ انَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّف فَوْقَ مَا فِى وُسْعِهِ لَمَضَى إليكَ المِنْبَرُ (٥)

وقال فيه لما دخل عليه وفد الرُّوم :

ورَأَيْتَ وَفْدَ الرُّومِ بَعْدَ عِنَادِهِمْ عَرَفُوا فَضَائِلَكَ التى لا تُجْهَلُ (٦)
لَحَظُوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ فَاسْتَصْغَرُوا مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فيهمُ ويُبَجَّلُ
وَرَأَوْكَ وَضَّاحَ الجَبِينِ كما يُرَى قَمَرُ السماءِ السَّعْدِ سَاعَةَ يَكْمُلُ (٧)

---

(١) فى الديوان « هى تلك السيماء » .
(٢) م « أجيروا مقالة ما أجاروا » .
(٣) ديوانه ١٨ « ورنا إليك الناظرون » ، ٢ / ١٠٧٥ .
(٤) فى الديوان « لا يزهى » .
(٥) وفيه : « فلو . . . غير ما فى وسعه لسعى » .
(٦) ديوانه ٢٤ ، ٣ / ١٦٠١ .
(٧) فى الديوان « قمر السماء التم ليلة يكمل » .

نَظَرُوا إليكَ فَقَدَّسُوا ، ولَوَ أَنَّهُمْ نَطَقُوا الفَصِيحَ لَكَبَّرُوا ولَهَلَّلُوا
حَضَرُوا السِّمَاطَ. فَكُلَّمَا رَامُوا القِرَى مَالَتْ بِأَيْدِيهِمْ عُقُولٌ ذُهَّلُ
تَهْوِى أَكُفُّهُمُ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَجُورُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ وتَعْدِلُ[1]
مُتَحَيِّرِينَ فَبَاهِتٌ مُتَعَجِّبٌ مِمَّا يَرَى ، أَوْ نَاظِرٌ مُتَأَمِّلُ[2]
ويَوَدُّ قَوْمُهُمُ الأُولَى بَعَثُوهُمُ لَوْ ضَمَّهُمْ بالأَمْسِ ذَاكَ المَحْفِلُ[3]
قَدْ نَافَسَ الغَيبَ الحُضُور عَلَى الذى شَهِدُوا ، وقَدْ حُسِدَ الرَّسُول المُرْسِلُ

قوله : «بَاهِتٌ» ، من بَهِتَ يَبْهَتُ وقد قيلت ، وهى رديئة ، والجيد بُهِتَ يُبْهَت .

وقال فى المعتز :

يُبْهَتُ الوَفْدُ فى أَسِرَّةِ وَجْهٍ ساطِعِ الضَّوْءِ ، مُسْتَنِيرِ الشُّعَاعِ[4]

وقال فيه :

إِذَا نَظَرَ الوُفُودُ إليه قَالُوا : أَبَدْرُ الليل أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ؟[5]

وأجود من هذا قول ابن هرمة :

لا يَرْفَعُونَ إليه الطَّرْفَ خَشْيَتَهُ لا خَوْفَ بَأْسٍ ولَكِنْ خَوْفَ إِجْلَالِ

وأجود من هذا قول طُرَيح الثَّقَفِى :

يَعْرُوهُمُ أَفْكَلٌ لَدَيْكَ كَمَا قَفْقَفَ تَحْتَ الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ[6]
لا خَوْفَ ظُلْمٍ ، ولا قِلَى خُلُق لَكِنْ جَلَالٌ كَسَاكَهُ الصَّمَدُ

---

(١) وفيه « فتحيد عن » .
(٢) فى الديوان « متحيرون . . . مما رأى» .
(٣) وفيه « وبود قومهم الأولى بعثوا بهم » .
(٤) ديوانه ١٣٢ ، ٢ / ١٢٤٤ .
(٥) ديوانه ٧٧٩ ، ٢ / ٩٣٨ .
(٦) فى اللسان ١٤ / ٤٥ « الأفكل على أفعل : رعدة تعلو الإنسان ولا فعل له » . وقفقف : أرعد من البرد ، والدجنة : الظلمة . الصرد : الذى أرعده البرد .

[وأصل] الباب كلّه قولُ الحَزِينِ الكِنَانى :

يُغْضِى حياءً ، ويُغْضَى مِنْ مَهابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ[1]

* * *

وقال فى المُتَوَكِّل :

اليَوْمَ أُطْلِعَ لِلخلَافَةِ سَعْدُها وأَضَاءَ فيها بَدْرُها المُتَهَلِّلُ[2]

لَبِسَتْ جَلَالَةَ جَعْفَرٍ فَكَأَنَّهَا سَحَرٌ تَجَلَّلَهُ النَّهارُ المُقْبِلُ[3]

وقال فى المعتز ويذكر الزَّوّ[4] :

ولَمْ أَرَ كالمُعْتَزِّ إذْ راحَ مُوفِيًا عليه بوجه لاح فى الرَّوْنَقِ النَّضْرِ[5]

مَلِيًّا بأَنْ يَجْلُو الظَّلَامَ بِغُرَّةٍ تَخَاضَعُ إكْبَارًا لَهَا غُرَّةَ الفَجْرِ

إذَا اهْتَزَّ غَبَّ الأَرْيَحِيَّةِ والنَّدَى وأَسْفَرَ فى ضَوْءِ الطَّلَاقَةِ والبِشْرِ[6]

---

(١) الوساطة ٢٩٦ والأغانى ١٤ / ٧٥ وغير منسوب فى الكامل ١ / ٣٩٩ .

(٢) ديوان البحترى ٢٥ ، ٣ / ١٧٥٤ وانظر ص ٣٣٤ من هذا الجزء .

(٣) فى الديوان « يجلله » .

(٤) فى اللسان ١٩ / ٨٥ « الزو : القرينان من السفن » ثم قال فى صفحة ٨٧ « الجوهرى : وزو : اسم جبل بالعراق . قال ابن برى : ليس بالعراق جبل يسمى زواً ، وإنما هو سمع فى شعر البحترى قوله يمدح المعتز بالله حين جمع مركبين وشحنهما بالحطب وأوقد فيهما ناراً ، ويسمى ذلك بالعراق زواً فى عيد للفرس يسمى الصدق فقال : « ولا جبلا كالزو » وقال الفيروزابادى فى القاموس ٤ / ٣٣٩ « والزو كالتو : سفينة عملها المتوكل ، لا جبل ، ووهم الجوهرى ، وإنما غره قول البحترى :

ولا جبلا كالزو يوقف تارة وينقاد إما قدته بزمام

والبيت فى ديوانه ١ / ١١ .

(٥) ديوانه ١٥٢ ، ٢ / ١٠٥٣ عليه : أى على الزو الذى ذكره قبل ذلك :

تعجبت من فرعون إذ ظن أنه إله لأن النيل من تحته يجرى

ولو بصرت عيناه بالزو لازدرى حقير الذى نالت يداه من الأمر

إذاً لرأى قصراً على ظهر لجة يروح ويغدو فوق أمواجها يجرى

تصاد الوحوش فى حفافى طريقه وتستنزل الطير العوالى على قسر

(٦) فى الديوان « تحت الأريحية » .

وقَابَلَهُ بَدْرُ السَّماءِ بِحُسْنِهِ فَبَدْرٌ عَلَى بَدْرٍ ، وبَحْرٌ عَلَى بَحْرِ
رأَيتُ بَهَاءَ المُلْكِ مُجْتَمِعًا لَهُ ودِيبَاجَةَ الدُّنْيَا ومَكْرُمَةَ الدَّهْرِ

وقال فيه :

مَلِكٌ يَمْلَأُ العُيونَ بَهَاءً حِينَ يَبْدُو فى تَاجِهِ المَعْقُودِ[1]

والخلفاءُ وملوك الإسلام لا يلبسون التِّيجَان ، وأظنها كانت يتخذها الأَحداثُ منهم فيلبسونها فى خلواتهم ، ومع نسائهم ، ومن لا يَحْتَشِمُونَه مِنْ نُدَمائِهم . فأَما القَلانِسُ المُعَمَّمَةُ التى تُرَصَّعُ بالجوهر فلا شك فيها . ومَنْ ذَكَرَ تيجانَ الخلفاءِ من الشعراءِ فلعلَّه رأَى على رءُوسهم هذا الجِنْسَ ، فقد قال البحترى أيضًا فى المهتدى ينفى عنه لُبْسَ التَّاج :

لَسَجَّادَةُ السَّجَّادِ أَحْسَنُ مَنْظَرًا مِنَ التَّاج فى أَحْجَارِهِ وَاتِّقَادِهَا[2]

وقال فى المعتز :

كَأَنَّمَا التَّاجُ إِذَا مَا عَلَا غُرَّتَهُ بالدُّوَرِ الزُّهرِ[3]
[كَوَاكِبُ الفَكَّةِ فى أُفقها دَنَتْ فَحَفَّتْ غُرَّةَ البَدْرِ][4]

وقد تقدم من إنكار عبد الملك بن مروان على ابن الرّقيّات قوله :

* يَعْتَدِلُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ *

* * *

(١) ديوان البحترى ١٥٨ ، ٢ / ٧٢٩ « تملأ »
(٢) ديوانه ١١٠ ، ٢ / ٦٧٧ .
(٣) ديوانه ٦٣٠ ، ٢ / ١٠١١ .
(٤) زيادة لازمة ، وجاء فى اللسان ١٢ / ٣٦٥ « والفكة : نجوم مستديرة بحيال بنات نعش . خلف السماك الرامح » .

فأما الجلال ، والبهاءُ ، والهيبة ، وسائر ما مضى من ذلك فى هذا الباب — فإنه واجب فى مدح الخلفاءِ والملوك والعظماءِ ؛ لأنه من الأوصاف التى تخصُّهم ، ويحسن موقع ذكرِها عندهم .

وكذلك جمال الوجه وحسنُه مما يجب المَدْحُ به ؛ فإنَّ الوجه الجميل يزيد فى الهيبة ، وَيَتَيَمَّنُ به العرب ؛ لأنه يَدُلُّ على الخصال المحمودة ، كما أنَّ قبح الوجه والدَّمَامَةِ يسقط الهيبة ، ويدل على الخصال المذمومة ، وذلك ما تكرهه العرب ، وتتشاءَم به ؛ لأن أول ما تلقاه من الإنسان وتعاينه — وجهه .

ألا ترى إلى قول البحترى :

أَغَرُّ كَبَارِقِ الغَيْثِ المُرَجَّى يُحَبَّبُ فى الأَبَاعِدِ والأَدَانِى (١)
تَخَاضَعَتِ الوُجُوهُ لِحُسْنِ وَجْهٍ يَدُلُّ على خَلائِقِهِ الحِسَانِ

وقال فى مثل ذلك :

حَسَنُ الوَجْهِ والرُّوَاءِ وكَمْ دَ لَّ عَلَى سُؤْدَدِ الشَّرِيفِ رواؤُهْ (٢)
ماءُ وَجْهٍ إذَا تَبَلَّجَ أَعْطَا كَ أَمَانًا مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْرِ مَاؤُهْ
يَتَعَالى ضِياؤُهُ فَيُجَلى طِخْيَةَ الحَادِثِ المُضِبِّ ضِيَاؤُهْ (٣)

* * *

وقَد غَلِط بعضُ المتأخرين فى هذا الباب ممن ألف فى «نقد الشعر» كتابًا — غلطًا فاحشًا (٤) ، فذكر أن المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ، ولاذم على الصحة ، وخَطّأَ كلّ من يمدح

(١) ديوان البحترى ١٤٥ ، ٤ / ٢٢٧٧ .
(٢) ديوانه ٥٢٨ « حسن العقل » ، ١ / ٣٠ .
(٣) فى الديوان « يتجلى ضياؤه . . . ظلمة الحادث » وهى بمعناه . والمضب : الذى غشيه الضباب
(٤) يقصد قدامة بن جعفر الكاتب ، مؤلف كتاب نقد الشعر .

رفع المسهم

بهذا أو يَذُمُّ بذاك ، فعَدَلَ بهذا المعنى عن مذاهب الأُمم كلها عربيّها وعجميّها ، وأسقط أكثر مدح العرب وهجائها . وقد بينت قبح غلطه فى هذا نبيبينًا شافيًا مستقصى فى كتاب منفرد(١) .

* * *

وقال البحترى يمدح المعتز ويذكر ابنه عبد الله :

عَلَيْهِ مِنَ المُعْتَزِّ بالله بهْجَةٌ أَضَاءَتْ فَلَوْ يَسْرِى بِهَا الرَّكْبُ لاَهْتَدى(٢)
يَرُوقُ العُيُونَ النَّاظراتِ بِطَلْعَةٍ مِنَ الحُسْنِ لو وَافَى بها البَدْرَ ما عَدَا(٣)
تَأَمَّلْ أَمينَ اللهِ فَرْطَ جَلَالَةٍ رائعة . تَبْدُو عَلَيْـهِ إِذَا بَدَا

وقد تصرف البحترى فى المدح بالجمال والهيبة والجلال ـ تصرفًا كثيرًا فى غير مدح الخلفاء ، فقال فى الفضل بن إسماعيل الهاشمى :

لَا تَطلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّأَمُّل ، مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ(٤)

وقال فى الفتح بن خاقان :

تَكَشَّفَ الليلُ مِنْ لَأْلَاءِ غُرَّتِهِ عَنْ بَدْرِ دَاجِيَةٍ أَوْ شَمْسِ إِصْبَاحِ(٥)

وقال يمدحه :

ويُبْتَدِرُ الرَّاءُونَ مِنْهُ إِذَا بَدَا سَنَا قَمَرٍ مِنْ سُدَّةِ المُلْكِ مُطْلَعِ(٦)

---

(١) اسمه « تبيين غلط قدامة بن جعفر فى نقد الشعر » ، وقد ألفه لأبى الفضل : محمد بن الحسين ابن العميد ، وقد قراه عليه ، وكتب خطه ، فى سنة خمس وستين وثلاثمائة . ما فى معجم الأدباء ٨ / ٧٦.

(٢) ديوان البحترى ١٣٤ ، ٢ / ٦٧١ .

(٣) هذا البيت وما يليه ، ليسا فى طبعتى الديوان . وهما فى طبعة المعارف .

(٤) ديوانه ٦١١ ، ٣ / ١٦٦٣ .

(٥) ديوانه ٥٨ « داجية أو ضوء » ، ١ / ٤٤٣ .

(٦) ديوانه ٩٠ ، ٢ / ١٢٣٩ .

رفع المسهم

يَقُومُونَ مِنْ بُعْدٍ إذَا بَصُرُوا بِهِ ... لِأَبْلَجَ مِنْ نُورِ الجَلَالَةِ أَرْوَعِ[1]

ويُدْعَونَ بالأَسْمَاءِ مَثْنَى ومَوْحَدًا ... إذَا حَضَرُوا بَابَ الرُّوَاقِ المُرَفَّعِ[2]

إذا سَارَ كُفَّ اللَّحْظُ عَنْ كُلِّ مُبْصَرٍ ... سِوَاهُ ،وغُضَّ الصَّوْتُ عَنْ كُلِّ مَسْمَعِ[3]

فَلَسْتَ تَرى إلَّا إفَاضَةَ شَاخِصٍ ... إليه بِعَيْنٍ ، أَوْ مُشِيرٍ بِإِصْبَعِ

الإفاضة : الدَّفْع ، يريد أنه يدفع ببصره إليه ، ويَنْحُو به نَحْوَه . والإفاضة فى الكلام أن يدفعوا أيضًا القول ، ويبعثوا الكلام . وهذه هيبةٌ وجلالٌ ما وراءهما غاية . وكان المتوكل أولى بهذا الوصف من الفتح وإن كان الفتح أَوْقَرَ وأهيب .

* * *

وقال البحترى فى دخوله إلى الفتح :

ولما حَضَرْنَا سُدَّةَ الإذْنِ أُخِّرَتْ ... رِجالٌ عنِ البابِ الذى أَنَا دَاخِلُهْ[4]

فَأَفْضَيْتُ مِنْ قُرْبٍ إلى ذِى مَهَابَةٍ ... أُقَابِلُ بَدْرَ الأُفْقِ حِينَ أُقَابِلُهْ

فَسَلَّمْتُ وَاعْتَاقَتْ جَنَانِىَ هَيْبَةٌ ... تُنَازِعُنِى القَوْلَ الذى أَنَا قَائِلُهْ

فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَةَ وَانْثَنَى ... إلَىَّ بِبِشْرٍ آنَسَتْنِى مَخَايِلُهْ

دَنَوْتُ فَقَبَّلْتُ النَّدَى فى يدِ امْرِئٍ ... جميلٍ مُحَيَّاهُ ، سِبَاطٍ أَنَامِلُهْ[5]

صَفَتْ مِثْلَمَا تَصْفُو المُدَامُ خِلَالُهُ ... ورَقَّتْ كما رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهْ[6]

هكذا لعمرى تمدح الملوك .

---

(١) فى م والديوان « لأبلج موفور الجلالة » .

(٢) م « إذا أحضر فى باب » .

(٣) فى الديوان « عن كل منظر » .

(٤) ديوانه ٥٢ ، ٣ / ١٦١٣ .

(٥) م « فقبلت الذى » .

(٦) م « المدام جلالة » .

وقال فيه :

مَهِيبٌ تُعْظِمُ العُلَمَاءُ مِنْهُ جَلَالَةَ أَرْوَعٍ وَارِى الزِّنَادِ[١]
يُؤَدُّون التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ إلى قَمَرٍ مِنَ الإِيوَانِ بَادِ
قِيَامٌ فى المَرَاتِبِ أَوْ قُعُودٌ سُكُونٌ مِنَ أَنَاة وَاتِّئَادِ
فَلَيْسَ اللَّحْظُ بالمَكْرورِ شَزْرًا إليه ، ولا الحديثُ بِمُسْتَعَادِ[٢]

* * *

وقال فيه أَيضًا لما دخلت إليه بنو تَغْلب بعدما أَصْلَحَ بينهم حتى سكنت حَرْبُهم . يقول ذلك فى قصيدته المنصفة :

تَرَاعَوْكَ مِنْ أَقْصَى السِّمَاطِ فَقَصَّرُوا خطَاهُمْ وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وهُمْ عُجْلُ[٣]
إِذَا قَلَّبُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ ومَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْلُ[٤]

وهذا من فاخر المدح ، ومُصِيبِ الوَصْف .

وفى اقتصاص مثل هذه الأَحوال التى تشاهد يظهر[٥] حِذْقُ الشاعر وبراعته . والله الموفق .

---

(١) ديوانه ٦٩٨ طبع بيروت ، ١ / ١٣٩ طبع مصر ، ٢ / ٧٢٦ طبع دار المعارف « تعظم العظماء منه » وفى طبعة المعارف « يعظم » .

(٢) ديوانه ٢ / ٧٢٦ « بالمكروه شزراً » .

(٣) ديوانه ١ / ٦١ طبع بيروت ، ٢ / ١٦٥ طبع مصر ، ٣ / ١٦١٩ – ١٦٢٠ طبع المعارف م « تزاول » وهو تحريف .

(٤) م فى الديوان « إذا نكسوا » .

(٥) م « فيظهر » وهو تحريف .

رفع المسهم

فهرست المسهم
غفر الله له ولوالديه

فهرس الموضوعات

	الصفحة
ذكر الفراق والوداع والترحل عن الديار والبكاء على الظاعنين .	٥ — ٥٨
ما قالاه فى البكاء على الظاعنين	٥
ما لأبى تمام فى البكاء على النساء المفارقات	٧
من ابتداآتهما فى معان شتى من باب الفراق	١٠
ما جاء عنهما من ذلك فى وسط الكلام	٢٠
البكاء على الظاعنين	٢٠
بكاء النساء المفارقات	٢٨
ما ذكراه من استيلاء النوى على الأحباب المفارقين . .	٤١
ذكر الأنفاس والحرق والزفرات عند الفراق	٤٤
زوال الصبر وقلة التجلد.	٤٨
ما قالاه فى قتل الفراق للمفارق وسفك دمه	٥١
ما قالاه فى الغزل من أوصاف النساء ونعوتهن وشدة الشوق والتذكر والوجد والغرام	٥٩
ذكر ابتداآتهما بتشبيه النساء بالظباء والبقر . . .	٥٩
ابتداآتهما بذكر الثغور	٦٤
ابتداآتهما بذكر البكاء والدموع	٦٦
ابتداآتهما بذكر السهر وطول الليل	٦٩
باب آخر من الابتداآت	٧١
ابتداآت البحترى فى ذكر العيون	٧٥
من ابتداآت البحترى فى التشوق	٧٩
ابتداآت البحترى فى معان شتى	٨١
ما جاء عنهما من أوصاف الغزل فى وسط الكلام . . .	٨٣

رفع المسهم

الصفحة

ذكر ما قالاه فى البهجة وحسن الوجوه وتشبيه النساء بالشموس
والبدور والنجوم وغير ذلك ٨٣
ما قالاه فى وصف الثغور ١٠٥
ما قالاه فى وصف القدور والخصور والأخصاف وثقل الأرداف
وحسن المشى ١١٠

* * *

ما قالاه فى شدة الحب والوجد والتشوق والغرام والحزن وانتجاز المواعيد
وإخلافها ونحو ذلك ١٢١
فى الحزن والوجد ١٢١
فى الشوق والصبابة ١٢٣
ما قيل فى اختلاف المحبين ١٣٨
باب فى نوح الحمام . . . . . ١٤٢ — ١٥٧
باب فى وصفهما للأيام التى خلت والأزمان التى حمداها والتذكر
لها ، والأسى عليها ، ويتصل بذلك شىء من ذكر النساء
وأوصافهن ١٥٨
ابتداآتهما فى هذا الباب ١٥٨
ما جاء عنهما فى وسط كلامهما من هذا الباب . . . ١٥٩

* * *

ما جاء عنهما فى طروق الخيال . . . . . ١٦٧ — ١٨٩

* * *

ما قالاه فى الشيب والشباب ووصف الكبر والعزوف عن الصبا . ١٩٠
ما لهما من الابتداآت فى ذلك ١٩٠
ما جاء عنهما فى وسط كلامهما من ذكر الشيب والشباب ووصف
الشيب وذمه ١٩٦
كره النساء للمشيب ٢٠٢

رفع المسهم

الصفحة

نزول الشيب قبل حينه ٢١٢
البكاء على الشباب والتعزى عنه والعزوف عن الصبا . . ٢٢١
الاعتذار من الشيب ٢٢٦
مدح الشيب والتعزى عنه ٢٢٧
ذكر الكبر وشكوى الدهر وتغير الحال ٢٣٠

* * *

باب فى ذكر الزمان وظلمه واعوجاجه وتعذر الرزق على ذوى الحزم والفهم ، وتيسره لذوى الجهل والعجز ، وفى التعزى والصبر والقناعة ، وما قالاه فى ضد ذلك من بعد الهمة والنهوض فى طلب الرزق ، والسير على الإبل وقطع الفيافى ، وفى مواعظ وآداب ٢٢٣
ما جاء عنهما من الابتداآت فى ذلك ٢٢٣
ما قالاه من هذه المعانى فى وسط الكلام ٢٣٥
فى ذم الزمان ومجاهدته والصبر على نوبه ٢٣٥
فى المواعظ والآداب ٢٤٣
فى الصبر والقناعة ٢٤٤
ذم ذوى الغنى على البخل وذكر مساعدة الدهر لذوى الجهل وتحامله على أهل الفضل والعقل ٢٥٣
ما قالاه فى طلب الرزق والنهوض إليه ٢٦٣
ما ذكرا فيه سرى الإبل . . . . . ٢٧٤ — ٢٨٦
باب الشحوب والتغير من الأسفار ٢٨٧

* * *

أبواب خروجهما من النسيب إلى المديح ٢٩١
خروجهما إلى المديح بمخاطبة النساء ٣١١
خروجهما إلى المدح باليمين ٣١٣

رفع المسهم

الصفحة

خروجهما إلى المديح بذكر الغيث ومباراته ٣١٥
خروجهما إلى المدح بوصف الرياح وتشبيه أخلاق الممدوح بها . ٣١٩
وجه آخر من خروجهما إلى المدح ٣٢٠
خروجات المتأخرين الظريفة الحلوة النادرة ٣٢٩

* * *

باب المديح ٣٣١
أمر الخلافة وما يتصرف عليه القول من معانيها . . . ٣٣٢
ذكر الملك والدولة ٣٤٠
ما يخص أهل بيت النبوة من المدح دون غيرهم من ذكر طاعتهم
والمحبة لهم ، والمعرفة لحقهم ٣٤٣
ذكر الآلة التى كانت للنبى صلى الله عليه وسلم ، فصارت إليهم . ٣٤٥
من المجد والشرف فى مدح الخلفاء ذكر الآثار بالحرم . . ٣٤٧
من باب السؤدد والشرف : ذكر علو القدر وعظيم الفضل . . ٣٤٩
من باب المجد والسؤدد ٣٥٣
ومما يجب فى مدح الخلفاء ، كانت تلك حالهم أو لم تكن ، ذكر
التقى والورع ٣٥٩
ما قالاه فى الجمال والجلال والهيبة والبهاء والجهارة . . . ٣٦٢ — ٣٧١

رقم الإيداع	١٩٨٢/٢٩٨٥
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٠٦٤-٦

١/٨٢/١٠٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

رفع المسهم